Tel : 787250, 788166
Fax : 0522-787310

MAJALLAH

RNI No.(U.P. ARA/2000/2341
Regd. No.LW-NP/64/2001

AL-BAAS-EL-ISLAMI

(Issue-4) Feb. 2002 (Monthly)

من إصدارات الصحافة الإسلامية:

الفتح

مجلة شهرية إسلامية جامعة

تصدرها:

دائرة الشئون الإسلامية والأوقاف

بالشارقة (دولة الإمارات العربية المتحدة)

رئيس التحرير:

المهندس عبد الله بن إبراهيم المدفع

مدير التحرير:

أحمد علي سيف آل علي

المراسلات:

الشارقة - ص.ب ١٠٨٧

(دولة الإمارات العربية المتحدة)

Printed and Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlise Sahafat-Wa-Nashriyat (Deptt. Of Journalism and Publicity) Nadwatul Ulama at Raebareli Offices, Raebareli Road, Lucknow (U.P.)

المجلد ٤٧

المجلد السابع والأربعون

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

العدد الخامس | مجلّة اسلاميّة شهريّة جامعة | محرم، صفر ١٤٢٣هـ

في هذا العدد

أمة العرب و الواقعية
الحل يكمن في حضـــارة الاسلام وحدها!
دراسة أسباب الإرهاب و معالجتها.....
الحمد لله رب العالمين!
سؤال كبير و إجابة شافية
أساسيات في الفكر اليهودي
الوكالة بالخصومة (المحاماة) بين المانعين و المبيحين
العقيقة في الإسلام
محمد عاكف أرصوى

تصدرها:

مؤسسة الصحافة والنشر

٨٨٢١/١٤١٩٥

أنشأها :
فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني -رحمه الله تعالى-
في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

رئاسة التحرير :
سعيد الأعظمي
واضح رشيد الندوي

المجلد السابع والأربعون

العدد الخامس
حرم، صفر ١٤٢٣هـ
مارس ٢٠٠٢م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال ، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير ، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة و المنصوص ، و قامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، و أن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير و التجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح و التجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه ، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر ، و حاجات المسلمين و أحوالهم .

(أبو الحسن علي الحسني الندوي)
(رحمه الله)

المراسلات
البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب ٩٣ - لكناؤ
الرمز البريدي : ٢٢٦٠٠٧ (الهند)

المراسلات
ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o NADWATUL ULAMA
P.O. Box : 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)

حضرات إخواننا القراء !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد ! فأحمد الله سبحانه وتعالى على هذا التوفيق الغالي الذي أكرمنا به من الاستمرار في خدمة العقيدة والفكر ، و في مجال البعث الإسلامي ، بطريق مجلة : "البعث الإسلامي" راجياً من الله سبحانه أن يكرمنا بالتأييد الدائم ، و بروح من الاستقامة والصمود ، و الثبات على هذه الجبهة الدقيقة في ظروف صعبة و أوضاع متأزمة تمر بها الأمة ويتعرض لها المسلمون اليوم في كل مكان نحو دينهم وشريعتهم ورسالتهم العالمية .

وبمجرد توفيق الله ومشيئته استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية في المجلة كما يراها و يسر بها القارئ الكريم ، و لا يخفى عليكم أن تكلفة المجلة قد تضاعفت كثيراً بغلاء أسعار الورق و الطباعة وأجور العمال ، فنرجو أن يتكرم كل أخ كريم ببذل مجهوداته في سبيل دعم المجلة وتوسعة نطاق المشتركين الجدد فيها، ويشاطرنا في أداء بعض الواجب الذي نتحمله الآن ، ويسمح لنا بلفت الأنظار إلى التعاون على البر والتقوى .

والتحديات تتجدد كل يوم ، وهي تنذر بشر مستطير ، فنرجو أن تتعاونوا معنا على كل جبهة ، ولكم شكرنا وتقديرنا.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

الإشتراكات السنوية
في الهند :
مائتا روبية ٢٠٠/٠٠
ثمن النسخة : ٢٠/روبية
في العالم العربي
و في جميع دول العالم :
٢٥/دولارا بالبريد العادي
و
٤٠/دولارا بالبريد الجوي

عنوان المراسلات
ترسل الاشتراكات بالشيك :
باسم : "البعث الإسلامي"
(ALBAAS-EL-ISLAMI)

وذلك بالعنوان التالي
مكتب البعث الإسلامي
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ندوة العلماء ،
ص.ب ٩٣ لكناؤ (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o. NADWATUL-ULAMA
P.O. Box : 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)

* المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

في هذا العدد

أمة العرب و الواقعية — سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله تعالى) — ٣

الافتتاحية:

الحل يكمن في حضارة الاسلام وحدها! — سعيد الأعظمي الندوي — ٤

التوجيه الإسلامي:

الحمد لله رب العالمين! — بقلم الدكتور أحمد عبد الرحيم السائح — ٨

سؤال كبير و إجابة شافية — الدكتور عبد الحليم عويس — ١٤

أساسيات في الفكر اليهودي — الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد — ١٧

الدعوة الإسلامية:

الاحتشام و الحجاب الشرعي للمرأة — الدكتور محمد بن سعد الشويعر — ٢٥

الاجتهاد في المستجدات — الأستاذ محمد عبد الرحمن المدني — ٣٤

الفقه الإسلامي!

الوكالة بالخصومة (المحاماة) بين المانعين و المبيحين ....الدكتور عارف علي عارف — ٤٤

العقيقة في الإسلام — الدكتور محمد السيد علي بلاسي — ٥٢

أصول المعاش الإسلامي في ضوء الكتاب و السنة ـ محمد أسجد القاسمي الندوي — ٦٢

دراسات و أبحاث:

محمد عاكف أرصوى — الدكتور غريب جمعة — ٧٠

يحى بن سعيد الأموي — الدكتور جمشيد أحمد الندوي — ٧٩

صور و أوضاع:

دراسة أسباب الإرهاب و معالجتها ..... — واضح رشيد الندوي — ٨٧

أخبار اجتماعية و ثقافية:

صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي / حاكم الشارقة يفوز بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام — قلم التحرير — ٩١

حوار صحفي مع صاحب السمو الملكي الأمير نائف بن عبد العزيز

مترجم من الإنجليزية : الأستاذ إقبال أحمد الندوي الغازيفوري — ٩٣

إلى رحمة الله تعالى:

الكاتب و المفكر الإسلامي أنور الجندي في ذمة الله — قلم التحرير — ٩٧

رحيل الشاب الصالح الأخ محمد طلحة الندوي — ٩٩

الشيخ محمد بن جبير في ذمة الله — ١٠١

سعادة الشيخ العلامة محمد الرابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء يتوجه إلى الربوع المقدسة — ١٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة العلامة الندوي رحمه الله يقول :

أمة العرب و الواقعية

" لقد كان العرب الأمة المختارة لحمل الرسالة الإسلامية الأولىٰ ، و نشرها في الآفاق و حراستها و الحدب عليها ، إلىٰ أن يرث الله الأرض و من عليها ، و قد ربط الله مصيرهم بمصير الإسلام ، و ببعثة محمد عليه الصلاة و السلام ، و قرن بينهما قراناً لا يقطعه شيئ ، و قد أشعل قلوبهم حماساً في سبيل نشر تعاليم الإسلام ، و دعوة الأمم إليها و إنقاذها من براثن الجاهلية ، و قد كانت لأخلاقهم و مواهبهم التي خصوا بها من بين الأمم ، و التي غذاها و نماها الإسلام و وجّهها التوجيه الصحيح فضل كبير في انتصارهم على عدوهم ، الذي كان يفوقهم عشرات مرات ، و في تحطيمهم للامبراطوريتين العظيمتين ـ الرومية و الإيرانية ـ منها الإيمان الراسخ ، و الوفاء للإسلام ، و الاستماتة في سبيله ، و منها الإيثار و الانسلاخ عن الأنانية الفردية ، و منها العفة و الزهد و التقشف في الحياة ، و الصبر و قوة الاحتمال ، و منها الاعتماد علىٰ العمل و الكفاح أكثر من الحديث و الكلام ، و " الواقعية " بدل الاسترسال في الأوهام و الأحلام " .

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية

الحل يكمن في حضارة الإسلام وحدها !!!

الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين ، و الصلاة و السلام علىٰ خير خلقه محمد ، و علىٰ آله و صحبه أجمعين ، و بعد :

فلم يكن في حسبان الغرب و لا زعمائه الذين يقودون حملات الكراهية ضد الإسلام أن جهودهم ستتمخض بالإخفاق فيما توقعوه من تقلص ظلاله في المجتمعات الإنسانية التي تعاني ألواناً من الشقاء ، و تتطلع إلىٰ منهج ينقذها من ذلك الوضع المهين ، و لعل النتائج التي توقعها الزعماء الغربيون لم تكن علىٰ ما يرام ، فكلما وضعوا مخططات لتقويض أركان الحضارة الإسلامية بطريق العلم و الفلسفة ، أو حاولوا تدميرها بالأساليب العسكرية و وضعوا العراقيل في طريق التعريف بدين الإسلام و الدعوة إلى التدبر في رسالته السماوية الخالدة واجهوا رفضاً عاماً للحضارة المادية التي جرّبها الناس و عرفوا زيفها ، و ما زالوا يبحثون عن ملجأ يأوون إليه لتهدئة أعصابهم و طمأنة قلوبهم ، و إدراك ضالّتهم من لذة الحياة المفقودة و سعادتها الحقيقية ، لقد عاش الناس هذا الواقع في الغرب المادي بوجه خاص ، و سئموا تلك الحياة الرتيبة التي لم تساعدهم في معالجة القضايا التي أنتجتها المادية ، و أورثتهم قلقاً أقض مضاجعهم ، و قرّبهم من الانتحار العقلي و

الفكري ، هذا واقع معاش في الغرب و المجتمعات المادية كلها ، و قد مُني به العالم البشري الذي اغترّ بالزخارف الحضارية ، و انخدع بالألوان الظاهرة ، و لم يدر بخلده أن هناك منهجاً واقعياً للحياة يتولى بناء الإنسان و المجتمع البشري كله على أسس طبيعية توفر لهما الهدوء و السعادة ، و الأمن و السلام ، ذاك أن الجوّ الذي صنعه هؤلاء الزعماء ضد الإسلام و منهجه للحياة كان مخيفاً للغاية ، فقد أدخلوا في أوهام الناس أن الإسلام نظام وحشي لا علاقة له بالنظام و المدنية ، و أتباعه إرهابيون يحملون السكاكين في أردانهم لإشباع نهمة النهب و السلب و القتل ، و هم ينفّذون قسوتهم كلما سنحت لهم الفرص ، بهذا و أمثاله تمثلت صورة الإسلام في أعين الناس شوهاء ، و تسرب الخوف منه إلى نفوسهم .

و لكن هذه الأراجيف و الدعايات الكاذبة أسفرت عن حقيقتها ، و أتت على قواعدها المهلهلة ، و عمّت في العالم كله اتجاهات إلى دراسة الإسلام و شريعته ، و تزايد الإقبال على تجربة مناهجه العملية ، و لا سيما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م التي ذهب ضحيتها آلاف من النفوس الأبرياء ، و هزت الولايات المتحدة هزاً عنيفاً ، و بعثت الرعب في قلوب أهلها ، و ساد الخوف و الذعر في جميع أنحاء هذه الدولة التي كانت تعتبر نفسها على قمة عالية من العلم و الثقافة و التقنية ، و اضطر عدد كبير من أهلها إلى مغادرتها ، و لا يزال الوضع قلقاً و الناس في حيرة و ارتباك ، و قد كان معظم هؤلاء الخائفين من ملة اليهود و النصارىٰ ، فرأوا أن معتنقي الدين الإسلامي و العائشين تحت ظلاله يعيشون في هدوء و قلوبهم مطمئنة ، الواقع الذي كان بطبيعة الحال منشأ تساؤلات حول هذا التفاوت البيّن بين أتباع الديانات و الدين الإسلامي ، و بناءً علىٰ حب البحث و الحصول على ردود حتمية لهذه التساؤلات أقبل الناس علىٰ دراسة الإسلام و كتاب الله تعالىٰ ، و تزايد الإقبال على اعتناق دين الإسلام الذي هو دين الحق و الحرية و العدل و الأمن و السلام ، فقد جاء في تقارير عديدة أن عدد المهتدين إلى

الإسلام و معتنقيه قد تزايد فوق ما يتصور ، و قد أقبل الناس في الغرب كله على اقتناء كتاب الله و فهم معانيه ، حتى نفدت نسخ القرآن الكريم في الأسواق ، و الناس يتطلعون إلى الحصول على كتاب الله العظيم مهما كلّف ذلك من ثمن ، و قد قامت جمعيات إسلامية في العالم الإسلامي و في الغرب نفسه بتوفير كمية كبيرة من نسخ الكتاب إلى طالبيه ، و نرجو الله سبحانه أن يفتح قلوب الملايين من البشر للاستقاء من منابعه و الاستفادة من تعاليمه و استئناف حياة جديدة في ضوء شريعته ، و معلوم أن عدد المهتدين إلى الإسلام في الولايات المتحدة وحدها تجاوز ثمانية ملايين مسلم ، و لا يزال الناس ينتظرون نوبتهم للدخول في دين الله .

و مما يأتي في ضمن هذه البشائر أن وزير الخارجية البريطاني « جاك ستررو » صرّح بعظمة الإسلام و العالم الإسلامي في إحدى محاضراته التي ألقاها في مركز الدراسات الإسلامية بمدينة أوكسفورد في الخامس و العشرين من شهر يناير المنصرم ، جاء فيها الاعتراف الكامل بما أسدىٰ الإسلام و حضارته إلى العالم الغربي من معروف في تشكيل حضارته ، و لعله لم يتناس ما حمله المسلمون إلى أوربا النائمة أيام الأندلس الإسلامية من حضارة و شريعة ، و هدايا من العلوم و الفنون ، مما لم يكن لأوربا عهد به ، و كان ذلك هو السبب في صحوة العالم الأوربي في مجالات الحياة ، و لو رجعنا قليلاً إلىٰ الوراء لذكرنا ما قد ألقاه الأمير البريطاني الحالي تشالرز من اعترافات صريحة بأهمية حضارة الإسلام و تأثيرها على أوربا في أكثر من مناسبة .

و لا بأس أن أنقل بعض اعترافات الوزير البريطاني للشئون الخارجية جاك ستررو من خلال صفحات الزميلة العزيزة مجلة " المجتمع " الأسبوعية الصادرة من الكويت ، فيقول :

" الإسلام يشكّل جزءاً من ماضينا و حاضرنا في كل مجالات النشاط الإنساني ، فقد ساعد على تشكيل أوربا الحاضرة بدءاً من عظمة حضارة غرناطة في القرون الوسطىٰ إلى مدينة سراييفو تحت الحكم العثماني في

القرن التاسع عشر " . و يقول :

" بريطانيا خاصة و الغرب عامة يدينان بالشيء الكثير لثقافة العالم الإسلامي ..... هذا العالم الذي اشتهر تاريخياً كمركز للعلم و منبع للحكمة ، و الذي ترعرع في أحضانه حب العلم و المعرفة " . و يستطرد قائلاً :

" الإسلام يمثل قوة دافعة للمساواة بين البشر في مجالات عديدة ، الإسلام سبق المجتمعات الغربية بقرون عديدة " .

و يوجّه الانتقاد إلى العلمانيين و يمدح الإسلاميين في العالم الإسلامي فيقول : " إن القوى العلمانية و ليست القوى الدينية هي القوى المتسلطة تسلطاً ظالماً ، لكن الغربيين بطيئون في إدراك هذا الأمر المهم " .

من ثم نستطيع أن نقول بكل صراحة و ثقة كاملة بأن الإسلام إنما هو الحل الوحيد لكافة ما يعانيه الغرب من قضايا معقدة و مشكلات شديدة التأثير على مستقبل الإنسان الغربي الذي يعيش في خواء روحي و فكري ، و ليس مستقبل الغرب مضموناً في أي حال إلا إذا اعتمد حضارة الإسلام ، و أسّس بنيان « عولمته » على الأسس الحضارية الواقعية التي يوفرها الإسلام للإنسان في كل عصر و مصر ، و بطريق دائم .

الحمد لله الذي أنزل علىٰ عبده الكتاب و لم يجعل له عوجاً ، قيّماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ، و يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ماكثين فيه أبداً .

و الله يقول الحق و هو يهدي السبيل

سعيد الأعظمي الندوي

١٤٢٢/١٢/٣هـ

التوجيه الإسلامي : مفاهيم إسلامية :

الحمد لله ربّ العالمين !

[١] بقلم : الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح (القاهرة)

إن الله سبحانه وتعالى ؛ هو وحده المستحق للحمد والثناء الجميل ، أسبغ النعم على عباده ، و أجرى الخير لبعضهم على أيدي البعض ، و وفقهم إلى ما يسعدهم في الدنيا ، ويُنجيهم من عذاب الآخرة ؛ فله الحمد ، يوفق برحمته للخير، ثم يثيب عليه جزيل الثواب ، ولا يعجل على الغافلين ؛ بل يؤخرهم ويملي لهم ، فإن تابوا قبلهم وغفر لهم ، فمن يستحق الحمد سواه ؟

قال تعالى في سورة الفاتحة : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، و الحمد لله هو الشعور الذي يفيض به قلب المؤمن بمجرد ذكره لله تعالى ، فإن وجوده ابتداء ليس إلا فيضاً من فيوضات النعمة الإلهية التي تستجيش الحمد والثناء .

وفي كل لمحة ، وفي كل لحظة ، وفي كل خطوة تتوالى آلاء الله ، وتتواكب وتتجمع وتغمر خلائقه كلها ، وبخاصة قواعد التصور الإسلامي المباشر: ﴿ وَ هُوَ اللَّهُ * لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ * لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ ﴾ .

ويقول ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ : إن الحمد هو الشكر لله خالصاً دون سائر ما يعبد من دونه ، ودون كل ما برأ من خلقه ، بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العد ، ولا يحيط بقدرها غيره أحد .

في تصحيح الآلات لطاعته ، و تمكين جوارح أجسام المكلفين لأداء

فرائضه ، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق ، وغذاهم به من نعيم العيش ، ومن غير استحقاق منهم ذلك عليه ، ومع ما نبههم عليه ، ودعاهم إليه ، من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم ، فلربنا الحمد على ذلك كله ، قال تعالى في سورة الأنعام : ﴿ الحمد لله * الذي خلق السماوات والأرض * وجعل الظلمات والنور * ثُمَّ الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾ .

فأنت ترى - أيها القارئ الكريم - أن سورة الأنعام افتتحت بالحمد المستحق له سبحانه : ﴿ الحمد لله ﴾ وهو حمد مقصور عليه وحده ، و هو حمد مطلوب من كل كائن أن يسبح لله به ، إذ هو الذي خلقه وأوجده ، الوجود نعمة تستوجب الحمد فأيّ موجود على أية صفة ، و على أية حالة ، عطاء من عطاء الله ، و صنعة من صنعته ، إن أي موجود على أية صفة وأي حال ، هو مظهر قدرة الله ، وآية من آيات تلك القدرة الخالقة المبدعة المصورة ، و إشارة دالة على وجود الخالق ، و قوله سبحانه وتعالى : ﴿ الذي خلق السماوات والأرض * وجعل الظلمات والنور ﴾ هو صفة الله المحمود بما خلق من السماوات والأرض ، وخالف بين مخلوقاته ؛ فجعل الظلمات ، وجعل النور ، والظلمة وحشة وعمى وضلال ، والنور أمن وهدى وحق .

وجه واحد ، وطريق واحد ، من قصد بها غير وجهه ضل ، ومن سلك طريقاً غير طريقه هلك ، هذا بعض ما ينكشف من قدرة الله ، وعلمه وحكمته ، فيما تعرضه كلمات الله .

وقد كان جديراً بالإنسان ، وقد منحه الله العقل ، والنظر ، والسمع ، أن يبصر ، ويسمع ، ويدرك بعقله ، ويتأثر ، وينفعل بمشاعره ، كان جديراً به أن ينظر في هذه الأكوان التي خلقها الله ، وفي هذا الوجود الذي أقامه .

ولكن كثيراً من الناس ينشغل بنفسه ودواعي نزعاته وأهوائه ، عن أن يفتح قلبه لهذا الوجود ، لذلك يعيش مغلقاً على نفسه ، متقوقعاً في ظلمات جهله وسفهه .

وكثير من الناس يسمع وينظر ، ولكنه يغفل فيركبه شيطانه فيغمض عينيه عما رأى ، ويصُمُّ أذنيه عما سمع ، ويتهم عقله فيما عقل .

وإذا كانت سورة الأنعام بُدئت بقوله تعالى : ﴿ الحمد للّه ﴾ فما ذلك إلا إيذاناً بأن الله هو المستحق للحمد بذاته ، أما قوله تعالى : ﴿ الذي خلق السماوات و الأرض ﴾ بعد قوله تعالى : ﴿ الحمد للّه ﴾ فما ذلك إلا للتنبيه على استحقاقه الحمد واستقلاله به ، باعتبار أفعاله العظام ، وآلائه الجسام .

واختصت السماوات والأرض بالذكر لاشتمالها على جملة الآثار العلوية والسفلية ، وعامة الآلاء الجليلة والخفية .

فاللّه سبحانه وتعالى أهل الحمد والثناء ، فهو الغني الحميد ، ولا شئ في ملكه إلا هو يعنو له بالحمد ، وذلك ما ينطق به الكون عاليه ودانيه .

ولهذا كانت رغبة المؤمن أن يكون حماداً ، وأن يحض غيره على ذلك ، وينبهه إلى سبيل الوصول إلى هذه الغاية الكريمة ، ولن يصل إليها إلا إذا كان منفعل الوجدان باليسير والكبير من النعم التي أفاضها الله عليه .

يقول ابن القيم في كتابه : "طريق الهجرتين" : الملك والحمد في حقه سبحانه متلازمان ؛ فكل ما شمله ملكه وقدرته ، شمل حمده ، فهو محمود في ملكه ، وله الملك والقدرة مع حمده ، فكما يستحيل خروج الشئ من الموجودات عن ملكه وقدرته يستحيل خروجها عن حمده وحكمته ، فهو محمود على كل ما خلقه ، وأمره به ، حمد شكر وعبودية ، وحمد ثناء ومدح".

وقد لا يخفى أن كثيراً من الناس يغفلون عن الحق فيعيشون في الأرض فساداً ، وهم يرفلون في نعم الله الذي خلقهم وخلق كل شئ ،

والكارثة تأتي على هؤلاء الذين استغرقتهم الملهيات ؛ فيصبحون مستحقين للهلاك والنقمة ، ولا يظلم ربك أحداً ، وهو يقطع دابر الذين ظلموا .

قال تعالى في سورة الأنعام : ﴿ فقطع دابر القوم * الذين ظلموا * والحمد للّه ربّ العالمين ﴾ ؛ فالحمد لله على ما جرى عليهم من الهلاك ، فإن إهلاك الكفار والعصاة والمجرمين ، من حيث إنه تخليص لأهل الأرض ، من شؤم عقائدهم وأعمالهم ، نعمة جليلة تستحق أن يحمد عليها ، لا سيما مع ما فيه من إعلاء كلمة الحق التي نطقت بها الرسل عليهم الصلاة والسلام .

فالحمد لله رب العالمين أي الثناء الحسن ، في ذلك الذي جرى من نصرة الله تعالى لرسله بإظهار حججهم ، وإهلاك الظالمين ، و إراحة الأرض من شركهم وظلمهم .

وهذا الحمد ثابت ومُستحق لله رب العالمين المدبر لأمور الخلق بحكمته البالغة ، أما السعداء الذين آمنوا بالله ، وصدقوا المرسلين ، وامتثلوا ما أمروا به ، فعملوا الصالحات ، ونشروا في مجتمعاتهم الأمن والاستقرار ، فقد نزع الله من صدورهم الحقد والضغينة ؛ فلا يحملون الأحقاد .

قال تعالى في سورة الأعراف : ﴿ و نزعنا ما في صدورهم من غِلٍّ * تجري من من تحتهم الأنهار * وقالوا : الحمد للّه الذي هدانا لهذا * وما كنّا لنهتدي لَو لا أن هدانا اللّه * لقد جاءت رسل ربنا بالحق * ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ .

وقال تعالى في سورة يونس : ﴿ دعواهم فيها سبحانك اللّهم * وتحيّتهم فيها سلام * وآخر دعواهم أن الحمد للّه رب العالمين ﴾ ، فهذا - أيها القارئ - حال السعداء الذين ينعمون بحمد الله ، ويحمدون اللّه حمداً كثيراً ..

إن الحمد للّه في حقيقته : رعاية القلب المؤمن لنعم الله تعالى ، فيفيض حباً لربه ، و يمتلئ شعوراً بتعظيمه ، و تمجيده ، وتوحيده ،

خصوصاً عند ما تنجلي البصيرة ، و يشرق القلب ، بعيداً عن ظلمة الجحود ، وغفلة العصيان .

وحينئذ يرى المؤمن : أن ربه مصدر العطاء ، ولا تسل في رحاب هذا الجو عن مدى ما يكون عليه المؤمن من شعور بتعظيم ربه ، خصوصاً عند ما يفيض هذا الشعور على اللسان ، فيثنى على الله تعالى ، بما يطيقه من ألوان الثناء .

ومهما بلغ المؤمن ، واستقصى فلن يبلغ حقيقة الحمد ، فنعم الله لا تحصى وآلاؤه لا تعد ، فحسب الإنسان أن يظل قلبه مرتبطاً بالله على أساس من الحمد .

من أجل ذلك دعا الإسلام الناس إلى حمد الله تعالى ، و وضع الإسلام بين أيدي الناس ، من الأسباب والمبررات ما يدعوهم إلى دوام الحمد للمنعم الكريم ، بل تجد - أيها القارئ الكريم - أن الإسلام درب الناس على مداومة حمد الله ، حين وضع بين الأيدي أساليب ، تفيض على القلب نوراً ، وعلى البصيرة جلاءً ، وعلى الجوارح طاعةً وخشوعاً .

ومع أن الحمد حق الله على عباده ، وثمرة الإيمان الصحيح فيهم ، فإن فضل الله ورحمته بالمؤمنين قد اقتضت أن يغريهم بالمزيد منه ، وأن يطمعهم فيما أعد لهم على ذلك من ثواب .

وقد لا يخفى أن رغبة المؤمنين في حمد الله ، تتضاعف ، وتتأكد ، وتأخذ واقعها العملي في حياتهم ، وأن فضل الله يزداد على المؤمنين أكثر وأكثر ، وتكون رحمته بهم أشمل وأشمل ، حينما تنير آفاقهم الأسوة الحسنة ، والقدوة الطيبة ، من أنبياء الله ورسله ومن حذا حذوهم من المؤمنين الصادقين ، الذين انفعلت وجداناتهم بنعم الله ، فحركت قلوبهم بالحمد ، وجوارحهم بالطاعة ، والعبادة ، وألسنتهم بالثناء على المنعم الكريم .

فكانت حياتهم دائماً زاخرةً بما تجيش به مشاعرهم من حب الله ، وتعظيمه ، وبما ترسم من صورة إيمانية ، لما يشعرون به من فضل الله عليهم ، ورسل الله ، وأنبياؤه ، هم النماذج الطيبة التي أشرق نور الإيمان في نفوسهم ، فاستضاءت به بصائرهم ، وقويت به مداركهم .

فبدا الكون أمام خواطرهم مجالاً للفكر ، والتدبر ، رأوا من خلاله أنعم الله ، وآلاءه ماثلة في تتابع لا يفْتر ، وإسباغ لا يُهمل ، فانفعلت بذلك نفوسهم ، وملكها عطاء من الحمد لله الواهب المتفضل ، وعلى أعقابهم سار المتقون وسلكوا دروبهم في حمد الله والثناء عليه ﴿ أولئك الذين هدى الله * فبهداهم اقتده ﴾ .

وقد يكون معلوماً أن إبراهيم عليه السلام كان إمام الحنفاء ، و والد الأنبياء ، وقدوة كثير من الناس كان ؛ كما قال الله تعالى في سورة النحل : ﴿ إنّ إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً * ولم يكُ من المشركين * شاكراً لأنعمه اجتباه * وهداه إلى صراطٍ مُستقيم ﴾ .

والأمة الرجل الجامع للخير ، ومعنى كون إبراهيم أمة : أنه كان معلماً للخير أو جامعاً لخصال الخير ، أو عالماً بما علمه الله من الشرائع ، وسمى إبراهيم أمة ، لأنه اجتمع فيه من صفات الفضل ، وسمات الخير ، والأخلاق الحميدة ، ما اجتمع في أمة .

هذا النبي الذي كان أمة ، قد بلغ من الكبر عتياً ، ولم يرزق الولد الذي تقربه العين ، قد بسط له الله سبحانه يد رحمته ، فكان له أكثر من ولد ، وقد حمد إبراهيم ربه على هذه النعمة ، التي جاءته على غير انتظار ، قال تعالى في سورة إبراهيم : ﴿ الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق * إنّ ربّي لسميعُ الدُّعاء ﴾ .

[يتبع]

سؤال كبير ؟
وإجابة شافية !!

بقلم : الدكتور عبد الحليم عويس
(مفكر إسلامي - مصر)

ثمة سؤال كبير يردده بعض المخلصين ، و يردده -كذلك- بعض الشامتين في أوضاع أمتهم ، المهزومين أمام أعدائها ... والسؤال يتكون من شقين .

أولهما : لِمَ غُلب أهل الهداية ، وهم حزب اللّه في كثير من الأحيان أمام أهل الضلالة الذين هم حزب الشيطان ؟

إننا نرى كثيراً من الهزائم - ولا سيما في العصر الحديث - تحيق بالكثرة المسلمة أمام الأقلية اليهودية أو اللادينية ؟

= وهذا هو الشق الأول من السؤال ...

= أما الشق الثاني الذي يردده بعضهم أيضاً ، فهو :

ما بال قسم من أهل المدينة المنورة مَرَدُوا على النفاق ، وأصروا على الضلالة ، ولم يسلكوا الصراط السوى ، رغم أنهم كانوا يجاورون الرسول الأعظم صلّى الله عليه وسلّم الذي تَسْطَعُ نبوّته ورسالته كالشمس ، وهو يذكرهم بالقرآن المعجز الذي يؤثر في النفوس كالأكسير الأعظم ، ويرشدهم بحقائقه التي تشد الجميع بقوة أعظم من جاذبية الكون ؟

= وعن هذا السؤال - بشقيه - تتعدد الإجابات ، بيد أن الأمر يحتاج إلى إجابة من مسلم حصيف واثق في دينه ، واثق في سنن اللّه ، مبصر بما وراء الظاهر حسب إكرام اللّه له ...

وقد أجاب أحد الدعاة الكبار عن هذا السؤال ، وهو المفكر التركي الكردي بديع الزمان النورسيّ ، فقال في إجابته :

لقد اقتضت حكمته سبحانه وتعالى أن يسير هذا الكون ضمن دستور السموّ ، والكمال ، وحسب قانون التغير والتحول ، لذا جعل الإنسان (وهو الثمرة الجامعة لشجرة الخليقة) يَتبع ذلك القانون ، أي قانون التدافع و المبارزة اتباعاً شديد الغرابة ، حيث فتح أمامه باب (المجاهدة) التي يدور عليها رقيّ جميع الكمالات الإنسانية وتكاملها ، فمن أجل هذا فقد أعطى سبحانه وتعالى حزب الشيطان شيئاً من الأجهزة والوسائل ليتمكن من مواجهة حزب الله ، ويقابله في ميدان المعركة .

= وهذا هو السبب في تمكّن أهل الضلالة (وهم في أشد الضعف والوهن والعجز) من مقاومة أهل الحق الأقوياء معنويا ، الذين يتقدمهم الأنبياء عليهم السلام ، والتغلب عليهم تغلباً مؤقتاً .

= إنها سنة إلهية كونية اجتماعية تقوم على التدافع بين الحق والباطل ، وتقوم على التداول كذلك ، وهذان القانونان : التدافع والتداول يقومان - كسنة - تنتظم الجميع !! لكن كيف يصمد أهل الباطل هذا الصمود ؟

= تقول الإجابة (النورسيّة) :

= أما سرّ الحكمة في هذه المقاومة الغريبة (من أهل الضلالة)، فهي : أن في الضلالة والكفر عَدَماً وتركاً ، وهو سهل لا يحتاج إلى دفع ولا إلى تحريك ... وفيها تخريب كذلك ، وهو سهل وهيّن أيضاً ، إذ تكفيه حركة قليلة ... وفيها تجاوز وتعد ، فعمل قليل ويسير منه يؤدي إلى ضرر بالكثيرين فيوهم الآخرين أنهم على شئ ؛ فيستخفّون بهم ، ويستعلون عليهم بإرهابهم وفرعونيتهم .

= و هذا - بطبيعة الحال - خاضع لقاعدة معروفة ، وهي أن الهدم أسهل جداً من البناء ، وأن السقوط لا يحتاج إلى تكاليف النجاح !!

= أما طريق أهل الهداية والمسلك السامي للأنبياء - عليهم السلام - و في المقدمة خاتم المرسلين الرسول الأكرم صلّى الله عليه وسلّم فهو طريق بناء ، وإيجاد وإيجابية ، وتعمير ، كما أنه طريق حركة واستقامة على الطريق والحدود ، وإنشاء طريق تفكير بالعقبى ، وعبودية خالصة للّه ، كما أنه

طريق مقاومة لفرعونية النفس الأمارة بالسوء وكبح لجماحها ، ولهذا أصبح منافقو المدينة المنورة في ذلك الوقت عجزة أمام هذه الأسس الإيجابية المتينة وأمثالها ، بحيث أصبحوا كالخفافيش أمام تلك الشمس الساطعة ، فأغمضوا أعينهم عنها ، ورفضوا الاستفادة من نورها ، فارتموا في أحضان الغرائز والمزالق الشيطانية !!

و أخيراً – فالباطل ، إذ ينتصر ، فإنما ينتصر لأنه عدم ، وهدم و سقوط ، وهو ينتصر كذلك (مؤقتاً) لاستعماله وسائل خسيسة من جانب ، ولضعف أهل الحق وتفرقهم واختلافهم من جانب آخر (!!) يقول أحد المفكرين الكبار :

= لقد شاهدت مراراً بنفسي أن عشرة بالمائة من أهل الفساد يغلبون تسعين في المائة من أهل الصلاح ، فكنت أحار في هذا الأمر ، ثم بإمعان النظر فيه فهمت يقيناً أن ذلك التغلب والسيطرة لم يك ناتجاً من قوة ذاتية ، و لا من قدرة أصيلة يمتلكها أهل الباطل ، وإنما من طريقتهم الفاسدة ، وسفالتهم ودناءتهم ، وعملهم التخريبي ، واغتنامهم اختلاف أهل الحق ، وإلقاء الخلافات والحزازات فيما بينهم ، واستغلال نقاط الضعف عندهم والنفث فيها ، و إشارة الغرائز الحيوانية و النفسانية ، والأغراض الشخصية عندهم ، و استخدامهم الاستعدادات المضرة التي هي كالمعادن الفاسدة الكامنة في سبيكة فطرة الإنسان ، و الترتيب على فرعونية النفس باسم الشهرة ، والرتبة والنفوذ ... وخوف الناس من تخريباتهم الظالمة المدمرة .

= تُرى هل يعرف المسلمون سرّ انحدارهم ... وسرّ انتصار أهل الباطل عليهم ، وهل يعودون إلى طريق الله ؟!!

= وهل يتذكر المسلمون أن الصحابة والتابعين لما برئوا من هذه الأمراض ، فتحوا العالم وكانوا أقلية في العدد ، ضعفاء في العدّة ؟!

= إنه طريق الإسلام ... طريق الله في كل الحالات ولا طريق سواه !!

* * *

أساسيات في الفكر اليهودي

بقلم : الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد
(جمهورية مصر العربية)

لا يختلف اثنان على أن الصراع في منطقة الشرق الأوسط بين العرب وإسرائيل ، هو صراع ديني في مقامه الأول بين اليهودية والإسلام ، على الأقل من جانبه الإسرائيلي ، وقد استغل اليهود هذه النقطة أكبر استغلال ؛ فنجد من جانبهم الاستبسال والتضحية بالنفس والمال ، والحماسة الزائدة ، وبينما المفروض أن يكون هكذا من جانبه العربي حيث يعتدى على الشعب الفلسطيني الأعزل ، ويشرد أبناؤه ، وتغتصب أراضيه ، وتهدم مساجده ، وتنتهك المقدسات الإسلامية ، وعلى رأسها المسجد الأقصى ، فلا يخفى على أحد محاولات اليهود لهدمه ، لكن العرب نظر البعض منهم إلى هذا الصراع على أنه صراع على شبر من الأرض ؛ أو حفنة ماء ، وعلى أنه صراع خاص بأهل فلسطين ، وعليهم وحدهم أن يتحملوا وزره ، لذلك فقد فترت لديهم الحماسة ، و قتلت لديهم الهمم ، فلا تخرج حدة انفعالاتهم عن بيانات إدانة واستنكار ، لا تزيد العدو إلا جبروتاً وطغياناً ، وشدة في الفتك بأبناء الشعب الفلسطيني ، وسخريةً منا ؛ واستهزاءً بنا ، و طمعاً في اغتصاب المزيد من الأراضي ، ويتبارى أصحاب هذه النظرة في الجثو على ركابهم أمام أمريكا مستجيرين بها كالمستجير من الرمضاء بالنار ، وفي الاستعداد الدائم للتنازل عن حقوق الشعب الفلسطيني التي أقرتها المواثيق ، والشرائع الدولية ، بل والتضحية به بأكمله .

و الذي يجب ألا نغفل عنه هو أن إسرائيل دولة دينية ، واسمها على

اسم نبيهم ، وفي كل تحركاتهم السياسية والحربية يرجعون إلى التوراة ، كما أن الدافع الأساسي وراء قيام دولة لليهود في فلسطين هو دافع ديني في المقام الأول ؛ فها هو : "تيودور هرتزل" يعلن في المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧م الذي كان يتولى رئاسته : إن الصهيونية عودة إلى اليهودية قبل أن تكون عودة إلى الوطن اليهودي ، و ما من زعيم إسرائيلي إلا وأكد يهودية الدولة اعتباراً من بن جوريون حتى إسحاق شامير ، أضف إلى ذلك أن المادة السابعة والسبعين من مشروع الدستور الإسرائيلي تنص على أن القوانين يجب أن تكون مطابقة للتعاليم الأساسية للشريعة اليهودية ، ولعل ما يحسم هذه الجزئية ما قاله البروفيسور إشاريان ؛ أستاذ العلوم السياسية بجامعة تل أبيب ، والعميد السابق لكلية العلوم الاجتماعية في كتابه : "السياسة في إسرائيل الجيل الثاني" ، و الذي صدر عام ١٩٨٥م أن الفصل بين الدين والدولة في إسرائيل أمر يستحيل إقامة الدليل عليه ، وأن العكس هو الواقع الذي يستند إلى اعتبارات تاريخية ، وأخرى أيديولوجية ، وثالثة : سياسية ، ورابعة : تنظيمية ، وقد فصل هذه الأسباب تفصيلاً ، أما عن التطبيق العملي في الحياة ، فنجد الكاتب نفسه يذكر لنا أن معظم اليهود في إسرائيل يمارسون يهوديتهم كأسلوب حياة ، ومن ناحية أخرى : فإن تطبيق الشريعة اليهودية "هاهنخا" كمنهاج حياة متكامل من خلال صياغتها في صورة قوانين يطلقون عليها القوانين الزرقاء هو أمر واقع ، ومنها القوانين التي تراعي أحكام السبت ، والأعياد الدينية ، وإعفاء السيدات المتدينات من التجنيد ، ومنع تربية أو ذبح الخنازير ، ومراعاة الطعام الحلال "الكوشير" ، و إلغاء القانون الذي كان ينظم الإجهاض ، و إذا ما تعارضت أي فكرة أو مبدأ مهما كانت في أي من ميادين الحياة مع الشريعة اليهودية تغلبت أحكام الشريعة ، كما أن أكثر من ثلثي المنشآت التعليمية في إسرائيل منشآت تعليمية دينية ، بينما الباقي يدرس التوراة والتلمود

والتاريخ اليهودي في عدد ساعات لا يقل عن ربع إجمال عدد ساعات الدراسة في المناهج الأخرى ، أضف إلى ذلك ما يلتزم به المهاجرون إلى إسرائيل من تغير أسمائهم إلى أسماء عبرية .

وقد تم صياغة الأهداف القومية للدولة ، ونظرية الأمن القومي فيها ، والعقيدة القتالية لقواتها المسلحة ، وعلاقاتها الخارجية على أساس العقيدة اليهودية ، والتي تعلن عداءها لكل ما هو غير يهودي ؛ واستعبادها له ، كما أصبح ولاء اليهودي الموجود خارج إسرائيل ؛ هو للدولة اليهودية بصفة أساسية ، وهذا أمر في غاية الخطورة نظراً لتغلغل اليهود في أجهزة صنع القرار السياسي فضلاً عن سيطرتهم على قطاعات عريضة في مجالات الاقتصاد ، والمال ، والإعلام في أكثر من دولة ، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية ، وبما أن القيم العليا ، و الثقافة السياسية في إسرائيل مستمدة من العقيدة اليهودية ، فإنها تهيمن على كل صهيوني ، وعلى كل مؤيد للصهيونية فكرة "أرض الميعاد" التي تتكرر في عدد من المواضع في نسخ التوارة المعاصرة ، ويستند زعماء إسرائيل إلى هذه الفكرة في اجتذاب الدعم ، والتأييد من الدول الأوربية وغيرها ، فنجد دافيد بن جوريون يصرح في مايو عام ١٩٦٢م بقوله : إن إسرائيل قامت تحقيقاً لنبوءات الكتاب المقدس ، و تكرر جولد مائير المقولة نفسها في أكتوبر عام ١٩٧١م بقولها : لقد وجد هذا البلد تنفيذاً لوعد الرب ذاته ، ولهذا لا يصح أن نسأله إيضاحاً عن شرعية هذا الوجود ، وأي جنرال إسرائيلي عندما يتحدث عن الغرض من حروب إسرائيل يستدل بالتوراة والتلمود والحكايات الشعبية المأثورة ؛ فالجولان لابد من ضمها لأن القضاة اليهود عاشوا هناك ، وسيناء لابد من غزوها لأنها كانت جزءً من إسرائيل في الماضي السحيق .. (١) .

(١) مجلة الأزهر ؛ جمادى الأولى عام ١٤١٢هـ الموافق نوفمبر عام ١٩٩١م ع/٥ ؛ سنة/٦٤.

ولقد ارتبطت فكرة أرض الميعاد هذه ارتباطا وثيقا بأمن إسرائيل الذي يعتمد بدوره على فكرة الحدود المتحركة ، والطرد التدريجي لسكان الأرض ، والحرب الدائمة ، وعدم جواز مسالمة سكان الأرض ، ولهذا نجد بن جوريون يعلن : إننا دولة بلا حدود وحدودنا هي المناطق التي يمكن أن يصل إليها جيشنا ، وعند ما سئل عن هذا التصريح أجاب : انظروا إلى إعلان إنشاء الولايات المتحدة الأمريكية ، فهو لا يحدد حدوداً ، و نحن مثل أمريكا ، وفعلاً فقد أخذت أمريكا تتسع شيئاً فشيئاً ، حتى أصبحت قارة ضخمة ، وما دامت إسرائيل تتخذ من أمريكا مثلاً لها ، فإنها ستفعل بالعرب كما فعلت أمريكا بالهنود الحمر ، فقد اكتشفت الأمريكتان عام ١٤٩٢م عند ما بدأت رحلة كريستوفر كولومبوس من ميناء في جنوب أسبانيا وبمباركة من ملكها فرديناند ، و ملكتها إيزابلا ، و تمت هجرات صغيرة إلى الموطن الجديد ، و كان معظمهم من المغضوب عليهم أو الخارجين عن القانون في أوربا ، وبدأت هذه الجماعات في شن حملات عدائية على المستوطنين الأصليين ، وأخذوا في التوسع في الأراضي ، ومع تزايد أعداد الهجرة ، وحملهم العبيد من إفريقيا اتسعت أمريكا إلى أن صارت إلى ما عليه الآن .

ومن الملاحظ أن إسرائيل تسير على نفس خط أمريكا ، فبدأت الهجرة في مجموعات صغيرة إلى فلسطين ، ومحاولات تصفية السكان الأصليين ، وتوسع حركات الهجرة ، بالإضافة إلى محاولات إسرائيل المتسمرة لاغتصاب أراض عربية جديدة تارة بالحرب ، وتارة بالسلم ، يقول ديفيد كاما ؛ مؤلف كتاب : "الصراع لماذا وإلى متى ؟" صدر عام ١٩٧٥م إن هناك وطناً واحداً عائداً للعرب ليسوا غرباء فيه هو الجزيرة العربية ؛ أما بقية البلاد التي يقطنون فيها ، فليسوا إلا محتلين لها، ومسيطرين عليها يقيمون فيها إمبراطورية مغتصبة ، ويستنكرون بكل وقاحة الحقوق الطبيعية

للشعوب التي لها الحق الشرعي في هذه المنطقة قبل الاحتلال العربي ، غير أن هذه الشعوب أصبحت الآن شعوباً ، وطوائف لاجئةً في الشرق الأوسط لها الحق في تقرير المصير ، و الاستقلال السياسي ، وهناك أعباء في الحقوق ، و الواجبات ، ملقاة على كاهل الإسرائيليين تقتضي منهم أن يقدموا يد العون إلى الأكراد في العراق ، والدروز في سوريا ، والزنوج في السودان ، و الموارنة في لبنان ، و الأقباط في مصر ، و سائر أبناء الشعوب والديانات التي تحارب معاً في سبيل الحرية و الاستقلال ، و أن من العدالة والنزاهة والحكمة السياسية أن تعمل إسرائيل على التفكيك الكامل للإمبراطورية العربية التي تعد آخر إمبراطوريات الماضي .

إن مفهوم الهيمنة بالقوة عن طريق التفتيت الطائفي للمنطقة العربية ، وإن كان ينتسب كلياً إلى حزب العمل الإسرائيلي ابتداء من موشي شاريت مروراً بـ "آبا إيبان" ، و وصولاً إلى شيمون بيريز ، إلا أنه يرسم خطاً استراتيجياً ثابتاً ، ومسيطراً في مجمل العقلية الإسرائيلية ، لا فرق في ذلك بين حزب العمل أو الليكود أو غيرها من الأحزاب ، فقد طالب آبا إيبان بإعادة تنظيم المنطقة قائلاً : بأن إسرائيل لا تريد سلاماً لا يحدث تغييراً في تركيب أقطار المنطقة فحسب ، بل سلاماً يحدث تغييراً ثورياً دراماياً في علاقاتها ببعضها البعض ، وهذه الإعادة إما أن تكون على شكل النموذج الإسرائيلي ، دول تتمتع بنقاء طائفي ، وإلا فالخيار هو العودة إلى الحرب الدائمة بين الكيان الصهيوني والمحيطين به ، أما شيمون بيريز فقد طرح الرؤية ذاتها بالقول : إن المنطقة العربية لا تعرف ، ولن تعرف أي تكامل قومي إنها منطقة أقليات ، والتطور الطبيعي هو تشجيع مناطق الأقليات بحيث تتحول المنطقة إلى دويلات صغيرة يعكس كل منها تكاملاً طائفياً ، ولو تم ذلك على حساب عمليات نقل بعض المواطنين من منطقة إلى أخرى ، وفقاً لهذه الرؤية طرح أريل شارون عند ما كان وزيراً للدفاع رؤية ، بل دعا إلى أن تستعد

إسرائيل لتكون دولة إقليمية عظمى يحدها من الشرق الصين ، ومن الشمال الاتحاد السوفيتي ، ومن الغرب الجزائر ، والمغرب ، ومن الجنوب كينيا ؛ أو إفريقيا الجنوبية .. (١) .

فاليهود ألد أعداء الإسلام والمسلمين ، وما اختلى يهودي بمسلم إلا حدثته نفسه بقتله ، و قد حدثنا القرآن الكريم عن خبث طباعهم ، وفساد ضمائرهم ، وتغلغل العداوة والبغضاء في صدورهم ، قال تعالى : ﴿ لتجدنّ أشدّ الناس عداوةً للّذين آمنوا اليهود * والذين أشركوا ﴾ [المائدة/٨٢] ، و حينما يأخذ الصراع العربي الإسرائيلي طابعاً عقائدياً من جانب العرب ؛ كما هو كذلك من جانب اليهود حينذاك ستتغير كتلة الميزان لصالح المسلمين ، وأقرب مثال لذلك الجهاد الأفغاني ، ولأنه جهاد يحمل لواء الإسلام ، فقد هب المسلمون من كل بقاع الأرض يقدمون أرواحهم وأموالهم في سبيل اللّه ، ولكن أعداء الإسلام يحولون بيننا وبين أن يأخذ هذا الصراع طابعه الديني من جانبنا ؛ لأنهم لا يخشون إلا الإسلام ، قال دافيد بن جوريون ؛ رئيس وزراء العدو الصهيوني : نحن لا نخشى الاشتراكيات ، ولا الثورات ، ولا الديمقراطيات في المنطقة ، نحن فقط نخشى الإسلام ، هذا المارد الذي نام طويلاً ، وبدأ يتململ ، و قال أحد رجال الدين اليهودي في الكيان الصهيوني : إن الإسلام قوة سياسية ، واجتماعية قادرة على توحيد الجماهير، ولا سيما في الضفة الغربية حيث يقوم علماء الدين المسلمون بمهمة توحيد الصفوف ضد اليهود ، وقال السفاح شارون : ما من قوة في العالم تضاهي الإسلام من حيث قدرته على اجتذاب الجماهير ، فهو يشكل القوة الوحيدة للحركة الوطنية الإسلامية .. (٢) .

(١) مجلة الشاهد ؛ العدد/٥٧ ، مايو ١٩٩٠م .

(٢) جريدة أخبار العالم الإسلامي ، العدد/١٢٣٨ بتاريخ الاثنين ، ٥/جمادى الأولى عام ١٤١٢هـ الموافق ١١/نوفمبر عام ١٩٩١م .

هذه قراءة موجزة في فكر كل يهودي ، هذا الفكر الذي لابد منه ، ولا محيص عنه ، و لا مفر منه ، مهما اختلفت المسميات والأحزاب ، حيث إنه أقرب إلى العقيدة الراسخة في الصدور والنفوس ، التي تظهر آثارها في تصرفاتهم وسلوكياتهم ، كما أنه من الثوابت الأساسية في نظام دولتهم ، فلا نفرح بهذا ، ولا نحزن بهذا ، ولا يملؤنا الأمل برضا هذا علينا ، و شموله لنا بعطفه و رحمته ، وألا نجزع لصلف هذا وغروره وقسوته علينا ، وتهديده لنا ، فكلهم في كراهيتنا سواء ، ولنعد كل ما نستطيع من قوة لهم ، فلن يتحرر القدس من دنس اليهود ، ولن تعود للمسلمين عزتهم وكرامتهم إلا بالجهاد ، شئنا أم أبينا، وسيقاتل المسلمون اليهود آجلاً أم عاجلاً ، وسيكتب لهم النصر، فعن عبد اللّه رضي اللّه عنهما أن رسول الله صلّى اللّه عليه وسلّم ، قال : "تقاتلون اليهود ؛ حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر ؛ فيقول : يا عبد الله ! هذا يهودي ورائي فاقتله" ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال عليه الصلاة والسلام : "تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم ، حتى يقول الحجر : يا مسلم ! هذا يهودي ورائي فاقتله" روى الشيخان والبخاري ، قول الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم : "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ؛ فيقتلهم المسلمون ، حتى يقول الحجر والشجر : يا مسلم ! يا عبد اللّه ! هذا يهودي خلفي ؛ فتعال ؛ فاقتله إلا الفرقد ، فإنه من شجر اليهود" تنبئنا هذه الأحاديث عن مقتلة عظيمة تجري بين اليهود والمسلمين ، وسيكون النصر فيها للمسلمين ، و الخذلان لليهود ، و عن أبي هريرة رضي اللّه عنه عن النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم أنه قال : "لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب بيت المقدس ، وما حوله لا يضرهم خذلان من خذلهم ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة" فمعركتنا مع اليهود قديمة ، وستستمر إلى قيام الساعة بدأها نبينا صلّى الله عليه وسلّم ، وكان له فيها غزوات ، فقد حارب يهود بني النضير ، وبني قينقاع ، وبني قريظة ، وحارب في خيبر ، وعلينا أن نكمل المسيرة ،

ونرفع راية الإسلام ، ومهما أوتوا من قوة ، وعدة عتاد ، ومال وسلاح نووي ، فقد أمرنا الإسلام بأعداد القوة بكل أنواع القوة ، بالإضافة إلى أن شجاعة المسلم ، وشدة إيمانه باللّه ، وحبه للاستشهاد في سبيل اللّه تؤهله لقتال العشرة من الكفار أو اثنين منهم في أقل الاحتمالات ، بينما حبهم للدنيا ، وكراهيتهم للموت ، وإلقاء اللّه عزّوجل الرعب في قلوبهم من أسباب نصرنا عليهم ، و لا يتحقق لهم ، ولغيرهم النصر علينا لشجاعة فيهم ، بل بما كسبت أيدينا نحن ، هكذا علمنا الإسلام ، وهكذا قالت كتبهم المقدسة جاء في سفر التثنية إصحاح/٩، و يقول اللّه : لأجل إثم هذه الشعوب يطردهم الرب من أمامك ليس لأجل برّك وعدالة قلبك تتملك أرضهم ، بل لأجل إثم هؤلآء الشعوب يطردهم الرب إلهك من أمامك .

وأخيراً فمع ظهور المكتشفات الأثرية سواء في مصر أو في كل من سوريا ، والعراق ، و فلسطين ، و الأردن برزت حقائق تاريخية قلبت كل ما كتبه المؤرخون والباحثون ؛ حول جذور اليهود واليهودية رأساً على عقب ، فقد أثبت البحث العلمي أن أسفار العهد القديم التي يستندون إليها في حقوقهم الدينية ليست هي التوراة الأصلية ، وإن هذه الأسفار التي بين أيديهم هي من وضع حاخاماتهم ورؤسائهم بعد موسى عليه السّلام بعدة قرون ، فقد أثبتت هذه المكتشفات أن الكتاب الملقب بالتوراة إنما كتبه اليهود يوم أن كانوا رهن الأسر في بابل تحت ظروف الاحتلال الاخميني للأراضي العربية ذلك الاحتلال الذي أمد اليهود بكل الإمكانيات لاستخدامهم كوسيلة للقضاء على الحضارة العربية .. (١) مما لا يدفع عن هذه الأسفار تهمة التحريف ، والإضافة حسب أهوائهم ومخططاتهم .

* * *

(١) مجلة "دنيا العرب" ، العدد/٦٥، أبريل عام ١٩٩٠م ، رمضان عام ١٤١٠هـ .

الاحتشام والحجاب الشرعي للمرأة

بقلم : الدكتور محمد بن سعد الشويعر
(رئيس تحرير مجلة : "البحوث الاسلامية" الرياض)

يكثر الحديث في وسائل الإعلام ، بين حين وآخر ، عن المرأة وحجابها ، وكأنه لم يكن عند المسلمين من القضايا والأمور الواجب الاهتمام بها غير حجاب المرأة ، و الدعوة إلى مشاركتها الرجل في الأعمال .. ونبذ الاحتشام الذي تقتضيه الفطرة ، و المرأة في التاريخ الطويل ، لم تحظ بمكانة بمثل ما حظيت في الإسلام : حقوقاً و واجبات ، و احتراماً و تقديراً ، ومعاملة مع ما يتلاءم مع فطرتها ..

ويأتي بعض طلاب العلم – وفقهم اللّه لكل خير– ليفتحوا باباً من أبواب الفتنة ، بدعوتهم إلى أن وجه المرأة ليس بعورة ، وأن الوجه والكفين ، موطن خلاف ، محتجّين بحديث أسماء بنت أبي بكر رضي اللّه عنهما عن النبي الكريم صلّى اللّه عليه وسلّم أنه قال : "إن المرأة إذا بلغت المحيض لا يصلح أن يرى منها غير هذا وهذا" ، وأشار إلى الوجه والكفين .. وقد تتبّع الشيخ عبد العزيز بن باز يرحمه اللّه ، هذا الحديث ، وبان له ضعفه ، وأنه لا يحتجّ به .

بل إن حديث عائشة رضي اللّه عنها في قصة الإفك ، الذي جاء فيه عن صفوان بن المعطّل ؛ قالت : "فرأى سواد إنسان نائم ، فأتاني فعرفني حين رآني ، وقد كان رآني قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه ، حين عرفني فخمّرت وجهي بجلبابي ، واللّه ما كلمني كلمة" [الحديث] .

[تفسير ابن كثير : ٣/٢٦٨-٢٧٠]

وقولها رضي الله عنها ، وهي حاجّة مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : فكنّا (وهنا للجمع لها ولنساء الصحابة جميعهن) "نكشف عن وجوهنا ، فإذا حاذينا الرجل سدلنا الحجاب على وجوهنا" .

هل يعني هذا أن نساء الصحابة ، لم يفهمن النصّ الشرعي ، بأمر الله الصريح في سورة الأحزاب : ﴿ يا أيها النبي ! قل : لأزواجكَ وبناتكَ * ونساء المؤمنين يُدنين عليهنّ من جلابيبهنّ ﴾ [الآية/٥٩] .

إن الإدناء كما قال ابن عباس : أمر الله نساء المؤمنين ، إذا خرجن من بيوتهن في حاجة ، أن يغطّين وجوههن ، من فوق رؤوسهن بالجلابيب ، و يبدين عيناً واحدةً ، و قال محمد بن سيرين : سألت عبيدة السلماني ، عن قول الله عزّوجل : ﴿ يُدنين عليهنّ من جلابيبهن ﴾ فغطى وجهه ورأسه ، وأبرز عينه اليسرى ، قالت أم سلمة رضي الله عنها : لمّا نزلت هذه الآية : ﴿ يُدنين عليهنّ من جلابيبهن ﴾ خرج نساء الأنصار، كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة ، وعليهن أكسية سود يلبسنها .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في حجاب المرأة ولباسها في الصلاة : وكانوا قبل أن ينزل آية الحجاب ، كان النساء يخرجن بلا جلباب ، يرى الرجال وجهها ويديها ، وكان إذْ ذاك يجوز لها أن تظهر الوجه والكفّين ، و كان حينئذ يجوز النظر إليها ، لأنه يجوز إظهاره .. ثم لما أنزل الله عزّوجل آية الحجاب بقوله : ﴿ يا أيها النبي ! قُلْ : لإزواجكَ وبناتكَ * و نساء المؤمنين * يُدنين عليهنّ من جلابيبهنّ ﴾ حجب النساء عن الرجال .

وكان ذلك لما تزوّج النبي الحبيب صلّى الله عليه وسلّم ، زينب بنت جحش ، فأرخى النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم الستر ، ومنع أنساً أن ينظر .. ولما اصطفى صفية بنت حيي بعد ذلك ، عام خيبر ، قالوا : إن حجبها فهي من أمهات المؤمنين ، و إلاّ فهي مما ملكت يمينه ، فحجبها ، فلما أمر الله أن لا يسألن إلا من وراء حجاب ، أمر أزواجه و بناته ، و نساء

المؤمنين أن يُدنين عليهن من جلابيبهنّ .

والجلباب : هو الملاءة ، وهو الذي يسميه ابن مسعود وغيره : الرداء وتسميه العامة الإزار ، وهو الإزار الكبير الذي يغطى رأسها وسائر بدنها .. وقد حكى أبو عبيدة وغيره : أنها تدنيه من فوق رأسها ؛ فلا تظهر إلا عينيها ، ومن جنسه النقاب ؛ فكن النساء ينتقبن .

فإذا كنّ مأمورات بالجلباب لئلا يعرفن ، وهو ستر الوجه ، أو ستر الوجه بالنقاب ، كان حينئذ الوجه واليدان من الزينة التي أمرت أن لا تظهرها للأجانب ، فما بقي يحلّ للأجانب النظر إليه ، إلا الثياب الظاهرة ، فابن مسعود ذكر آخر الأمرين ، وابن عباس أول الأمرين [ص/٦-٨] .

وما ذلك إلا أن المرأة يجب أن تصان وتحفظ ، بما لا يجب مثله في الرجل ، ولهذا خصّت بالاحتجاب ، وترك إبداء الزينة ، وترك التبرج ، فيجب في حقها الاستتار باللباس و البيوت ، ما لا يجب في حق الرجل ، لأن ظهور النساء سبب الفتنة ، والرجال قوّامون عليهن .

والنساء أمرن خصوصاً بالاستتار ، وأن لا يبدين زينتهن إلا لبعولتهنّ - ومن استثناه الله تعالى في الآية - فما ظهر من الزينة ، هو الثياب الظاهرة ، فهذا لا جناح عليها في إبدائها ، إذا لم يكن في ذلك محذور آخر ، فإن هذه لابدّ من إبدائها ، وهذا قول ابن مسعود وغيره ، وهو المشهور عن أحمد .

و قال ابن عباس : الوجه واليدان من الزينة الظاهرة ، و هي الرواية الثانية عن أحمد ، وهو قول طائفة من العلماء كالشافعي وغيره .

وأمر سبحانه وتعالى ، بإرخاء الجلابيب لئلا يعرفن ولا يؤذين ، وهذا دليل على القول الأول ، وقد ذكره عبيدة السلماني وغيره : أن نساء المؤمنين كن يدنين عليهن الجلابيب من فوق رؤوسهن ، حتى لا تظهر إلا عيونهن لأجل رؤية الطريق ، ثم قال رحمه الله : وإنما ضرب الحجاب على النساء ،

لئلا ترى وجوههن وأيديهن ، ورخص الشارع للعجوز التي لا تطمع في النكاح ، أن تضع ثيابها ، فلا تلقى عليها جلبابها ولا تحتجب ، وإن كانت مستثناة من الحرائر لزوال المفسدة الموجودة في غيرها .. كما استثنى التابعين غير أولى الإربة من الرجال ، في إظهار الزينة لهم ، في عدم الشهوة ، التي تتولد من الفتنة .. وكذلك الأمة ، إذا كان يخاف بها الفتنة ، كان عليها أن ترخي من جلبابها وتحتجب ، و وجب غض البصر عنها ومنها [ص/٢٤-٢٧] .

ومن المعلوم أن الوجه ، هو مجمع محاسن المرأة ، وموضع الفتنة ، ومن هنا جاء الأمر بستره ، حتى تكتمل حشمة المرأة ، فيطهر قلبها ، ويطهر قلب الرجل عن التعلق بأسباب الفتنة ، أو سلوك دواعيها ، وحجاب النساء ، الذي هو أمر الله ، العالم سبحانه بأحوال عباده ، وما تنطوى عليه قلوبهم ، هو سبب لطهارة القلب ، و وسيلة من وسائل السلامة ، حيث جاءت آية الحجاب في سورة الأحزاب ، التي مرّ ذكرها ، بأمر الله سبحانه لجميع نساء المؤمنين ، بإدناء جلابيبهن على محاسنهن ، من الشعور والوجه ، واليدين وغير ذلك ، حتى يعرفن بالعفّة ، فلا يفتنّ ، ولا يفتنّ غيرهن ، فتحصل بذلك الأذية .

ولما كان حديث أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها ؛ وعن أبيها ، الذي رواه أبو داؤد في سننه ، عن عائشة بنت أبي بكر ؛ زوج النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم ، رضي الله عنها ؛ وعن أبيها ، أن أسماء أختها ، دخلت على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وعليها ثياب رقاق ، فأعرض عنها النبي الأعظم صلّى الله عليه وسلّم ، و قال : "يا أسماء ! إن المرأة إذا بلغت المحيض ، لم يصلح أن يرى منها إلاّ هذا وهذا" وأشار إلى وجهه وكفّيه .

هذا الحديث الذي يأخذه بعضهم حجة على كشف الوجه واليدين ، و وجد عند بعض الناس ، قبولاً ، قد تتبعه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

رحمه الله تعالى ؛وهو حجة في الحديث ، ومعرفته بالرجال .. وقال فيه في رسالته : "حكم السفور والحجاب" المطبوعة ضمن : مجموعة رسائل في الحجاب والسفور ، وطبعته الرئاسة العامّة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء ، والدعوة والإرشاد ، عام ١٤٠٥هـ ؛ الطبعة الأولى ..

في هذه الرسالة ؛ يقول الشيخ عبد العزيز رحمه الله عن هذا الحديث : هو حديث ضعيف الإسناد ، لا يصح عن النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم ، لأنه من رواية خالد بن دريك ، عن عائشة ؛ وهو لم يسمع منها ، فهو منقطع .. و لهذا قال أبو داؤد بعد روايته لهذا الحديث ، في إسناده سعيد بن بشير ؛ وهو ضعيف ، لا يحتجّ بروايته ، وفيه علة أخرى ثالثة ، وهي : عنعنة قتادة عن خالد بن دريك ؛ وهو مدلّس .

ثم قال : ومعلوم ما يترتب على ظهور الوجه ، والكفّين من الفساد والفتنة - وقد تقدّم في ص/٥٤ من هذه الرسالة - قوله تعالى : ﴿ وإذا سألتموهن متاعاً * فأسألوهنّ من وراء حجاب ﴾ [الأحزاب/٥٣] ، و لم يستثن شيئاً ، وهي آية محكمة ، فوجب الأخذ بها ، والتعويل عليها ، وحمل ما سواها عليها ، والحكم فيها عام في نساء النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم ، وغيرهن من نساء المؤمنين .

وتقدم في ص/٥٥ من هذه الرسالة ، في سورة النور، الآيتين/٣٠-٣١ ؛ ما يرشد إلى ذلك ، وهو ما ذكره الله سبحانه في حق القواعد ، وتحريم وضعهن الثياب إلا بشرطين : أحدهما : كونهن لا يرجنّ النكاح ، والثاني : عدم التبرّج بالزينة ، و سبق الكلام على ذلك ، وأن الآية المذكورة حجة ظاهرة ، و برهان قاطع على تحريم سفور النساء ، وتبرجهنّ بالزينة ، ولا يخفى ما وقع فيه النساء اليوم ، من التوسّع في التبرج ، وإبداء المحاسن .

فوجب سدّ الذرائع ، وحسم الوسائل المفضية إلى الفساد ، وظهور الفواحش .

ثم زاد الأمر ترضيحا سماحته يرحمه الله بقوله : ومن أعظم أسباب الفساد : خلوة الرجال بالنساء ، وسفرهم بهن من دون محرم ، وقد صح عن النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم أنه قال : "لا تسافر امرأة إلا مع محرم ، ولا يخلونّ رجل بامرأة ، إلا ومعها ذو محرم" .. و قال صلّى الله عليه وسلّم : "لا يخلون رجل بامرأة ، إلا كان الشيطان ثالثهما" ، وقال صلّى الله عليه وسلّم : "لا يبيتنّ رجل عند امرأة ، إلا أن يكون زوجاً أو ذا محرم" .

[رواه مسلم في صحيحه]

فاتّقوا الله ؛ أيها المسلمون ! وخذوا على أيدي نسائكم ، و امنعوهنّ مما حرّم الله عليهن من السّفور و التّبرج ، و إظهار المحاسن ، و التشبه بأعداء الله من اليهود والنصارى ، وسائر الكفرة ، ومن تشبه بهم ، واعلموا أن السكوت عنهن مشاركة لهن في الإثم ، و تعرّض لغضب الله ، وعموم عقابه ، عافانا الله و إياكم من شرّ ذلك ، ثم أورد أحاديث صحيحة ، منهنّ قوله صلّى الله عليه وسلّم : "إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها ، فناظر كيف تعملون ؟ فاتّقوا الدنيا ، واتّقوا النساء ، فإن أول فتنته بني إسرائيل كانت في النساء" .

وهذا تحذير شديد من التبرج والسفور ، ولبس الرّقيق والقصير من الثياب ، والميل عن الحقّ والعفّة ، وإمالة الناس إلى الباطل ، وتحذير شديد من ظلم الناس والتّعدى عليهم ، ووعيد لمن فعل ذلك بحرمان دخوله الجنة ، نسأل الله العافية من ذلك . [ص/٥٩-٦٢]

و بعض الناس ؛ الذين يتلمّسون المداخل لتحقيق ما تصبو إليه بعض النفوس ، في البحث عن المداخل إلى الرّخص ، رغم أن شرائع الدين ، ليست تأتي حسب رغبات النفوس ، ولا من أجل تحقيق لذّة زائلة ، و لكنها شرائع عميقة ، أنزلها الذي قامت السماوات والأرض بعدله ، ومن له الحكمة البالغة ، ويعلم طبائع النفوس البشرية ، و ما يطرأ عليها من

تغييرات ، و ما تصلح به المجتمعات و تستقيم ، و ما يفسدها بحسب ما أودع الله سبحانه في طبائع البشر ، من شهوات ورغبات ، خاصة عند ما يضعف الحارس الإيماني ، والحاجز اليقيني ، بمراقبة الله في السّرّ والعلن ..

نقول رغم كل ذلك ، فإن بعض من يلتمس المداخل بالحجج ، يستشهد بحادثتين حصلتا في عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :

الأول : قصّة المرأة الخثعمية ، التي كانت تسأل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في الحج - حجة الوداع - و وصفت بأنها سفعاء الخدّين مما يدل على أنها كانت كاشفة وجهها .

الثانية : حكاية المرأة التي وهبت نفسها للنبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم ، وجاء فيه أن النبي الأعظم صلّى الله عليه وسلّم صعّد فيها النظر ، ولم يأمرها بالتستر عن الحاضرين ، مما يدل على أنها كانت كاشفة وجهها ..

وردّ على هؤلآء ، كما قال به كثير من العلماء : أن الأولى : وهي الخثعميّة .. كانت في الحج ، و هي لا تزال محرمة ، و المرأة المحرمة : إحرامها في وجهها ، فلا تنتقب ، ولا تلبس ما تغطى به الكفين كالمداسّ والقفازين وغيرها مما يخاط على قدر اليد ، و من ورع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ومن معها من نساء المؤمنين ، أنها كانت في الحج تكشف وجهها، فإذا حاذين الرجال سدلن الخمار على وجوههن ، فإذا تجاوز وهن كشفن .

أما الحالة الثانية : في المرأة التي وهبت نفسها للنبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم ، وصعد فيها النظر ، فإن هذا أولاً يدل على جواز نظر الخاطب للمرأة ، التي يرغب الزواج منها ، وأهم ما ينبغي النظر إليه الوجه ، و ما يظهر عادة كاليدين والقدمين ، لأن الوجه هو مجمع المحاسن للمرأة ، كما قال النبي الحبيب صلّى الله عليه وسلّم : "اذهب ؛ فانظر إليها ، لعله يؤدم بينكما" .. فصار النظر في حالة الخطبة كالإدام مع الطّعام ، الذي يشهّى الطعام ، و علّله المصطفى أيضاً ، بما عند الأنصار من أثر للنظرة ، التي بها

ينجذب القلب للاقدام ، أو ينصرف فيحصل الإحجام ..

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى : فلعل ذلك الوقت الذي جاءت فيه المرأة لتهب نفسها للنبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم ؛ كان قبل فرض الحجاب ، مما جعل النبي الأعظم صلّى الله عليه وسلّم ، لم يأمرها بالتستر عن الحاضرين .. و يرى كثير من العلماء منهم الشيخ عبد العزيز بن باز - يرحمه الله تعالى -في دروسه عن : بلوغ المرام ؛ حيث قال : كان هذا ؛ والله أعلم قبل الحجاب ، ويجب حمله على هذا . [شريط/١٩]

وفي الوقت الذي يرغب ، بل يدعو كثير من المسلمين للمرأة المسلمة أن تدع الحجاب ، لتتشبه بالمرأة الغربية ، التي لم تستمد منهجها من تعاليم الإسلام ، مثل ما قاد هذه الحملة قاسم أمين وغيره بكتبهم ومقالاتهم .. نرى المرأة الغربية تتوق لهذا الحجاب ، وترى فيه حمايةً و وقاراً للمرأة .. كما ستوضح ذلك ضمن حديث الشيخ النورسي في الجزء الثاني من هذا المقال .

أدب النساء : ألّف عبد الملك بن حبيب كتاباً ؛ "سماة الغاية و النهاية" ، وسمي أيضا : "أدب النساء" ، و عبد الملك هذا قد توفي عام ٢٣٨هـ في قرطبة ، وفيها ولد ، ويسمى عالم الأندلس وفقيهها في عصره ، وهو رأس في الفقه المالكي ، وقد جاء في كتابه هذا تحت عنوان : باب ما ينبغي للمرأة أن تضعه فيما بينها وبين زوجها ، قال : حدثني إسماعيل بن بشر أن رجلاً أتى النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : يا رسول ! إن لي امرأة إذا أتيتها مهموماً ، قامت إليّ ، فأخذت بطرف ردائي ومسحت على وجهي ، ثم قالت : إن كان همّك الدنيا ، فقد صرفها الله عنك ، و إن كان همك الآخرة ، فزادك الله هماً ، فقال صلّى الله عليه وسلّم : هذه لها أجر الشهداء ، ورزقهم ، وقال أيضاً : بلغني أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، أتي بسبي ، فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : "يا فاطمة ! اذهبي إلى رسول الله صلّى

الله عليه وسلّم ، فاسأليه خادما" فأتت رسول الله ، فاستحت أن تكلمه ؛ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : "ألحاجة جاءت فاطمة ، أم جاءت زائرة ؟" .

فأخذتها العبرة ؛ فقالت : يا رسول الله ! أما الماء فإني أغرفه من البئر ، في جوف الدار لا يراني أحد ، وأما العجين فإني أخبز في بيتي ، لا يراني أحد ، والغسل أغسل في بيتي لا يراني أحد ، وأرته يديها ، قد خلقتا من العمل ، "ولكن يا نبيّ الله ! إنما يشقّ عليّ الحطب ، احتطب من مكان بعيد ، والمرأة يا نبي الله عورة ، فذلك الذي يشقّ عليّ" .

فقال لها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : "إن ذلك على ما هو خير لك من خادم وخادم وخادم ، إذا انصرفْتِ إلى بيتك ، فاصلحي فراش زوجك ، فإذا جاء فتلقيه بالباب ، وخذي منه رداءه ، ثم إذا قعد على فراشه ؛ فاخلعي نعليه ، فإن كان مفطراً ، فقرّبي إليه ما في بيتك ، فإذا فرغ وفرّغْت ما بين يديه ، فاقعدي قريباً منه ، فإذا دعاك إلى فراشه ؛ فأجيبيه ، وأن لم يدعك فادني إلى فراشك ، فإذا استويت فيه فكبرى الله ثلاثاً وثلاثين مرة ، وسبّحية ثلاثاً وثلاثين مرة ، واحمدية ثلاثاً وثلاثين مرة ، واختمى المائة بلا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إلى آخرها ..

فذلك يا فاطمة ! خير لك من خادم وخادم وخادم ، قالها ستّ مرات .. فلما انصرفت سألها علي رضي الله عنه ما قال أبوك ؟ فأخبرته بالذي قال لها ، فقال علي : والذي خلقني ، لهذا خير لك من خادم وخادم" .

وروى عن إبراهيم بن الأدهم : أن أبا الدرداء قال لأم الدرداء : إذا غضبت فأرضيني ، وإذا غضبت أرضيتك ، فإنا إلا تفعل يوشك أن نفترى .

[كتاب آداب النساء : ص/١٦١-١٦٢]

* * *

الاجتهاد في المستجدات

[١]

بقلم : الأستاذ محمد عبد الرحمن المدني
(محاضر بقسم الدعوة والدراسات الإسلامية ، الجامعة الإسلامية العالمية - شيتاغونغ)

هذا القرن قرن العلوم والتكنولوجيا ، وقد استجدت الأشياء والشئون في هذا القرن ، فلا يقبل الارتجال والغوغائية في أي أمر من أمور الحياة ، لذلك فإننا في أمس الحاجة إلى الاجتهاد في هذا القرن من غيره من القرون الماضية ، وذلك للتغييرات الهائلة التي دخلت الحياة الاجتماعية و السياسية و العالمية بعد الانقلاب الصناعي ، والتطور التكنولوجي ، و التواصل المادي العالمي الذي جعل هذا العالم الواسع الكبير ؛ كأنه قرية صغيرة .

في الحقيقة إن الحاجة إلى الاجتهاد حاجة دائمة دؤبة ؛ لأن التشريع الإسلامي صالح لكل زمان ومكان ، وحاكم في كل عصر من العصور لكل أمر من أمور الحياة الجارية ، فقال جلّ جلاله : ﴿ ومَن يبتغ غير الإسلام ديناً * فلن يقبل منه * و هو في الآخرة من الخاسرين ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ ما فرّطنا في الكتاب من شئ ﴾ (٢) ، وقال أيضاً : ﴿ وَنزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ * وهدىً ورحمةً للمؤمنين ﴾ (٣) .

ونحن في هذه المقالة سنحاول توضيح مفهوم الاجتهاد و شروطه و إمكانية تحقق هذه الشروط في المجتهدين المعاصرين مع بيان أهم المجالات المستجدة للاجتهاد في هذا العصر .

مفهوم الاجتهاد : - الاجتهاد مشتق من مادة (ج هـ د) .

- جهد في الأمر : جد وطلب حتى وصل إلى الغاية (٤) ، و منه

قوله تعالى : ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم ﴾ (٥) .

- جهد بفلان : امتحنه (٦) .

- وفي القاموس المحيط : "الجهد (بفتح الجيم) الطاقة ، والجهد (بضم الجيم) المشقة (٧) .

- اجتهد في الأمر : بذل وسعه وطاقته ليبلغ مجهوده ويصل إلى نهايته (٨) .

- فالاجتهاد افتعال من الجهد ، وهو بذل الوسع والطاقة ، وحمل المشقة في طلب أمر ما (٩) .

جهد الدابة : حمل عليها في السير فوق طاقتها (١٠) .

- "اجتهد" فيه مبالغة أكثر من "جهد" لأن صيغة الافتعال تدل على المبالغة في الفعل ، فلذلك أن صيغة "احتسب" أدل على المبالغة من "حسب" وكذلك صيغة "اكتسب" أدل على المبالغة من "كسب" ، فيفهم من هذا بأن الاجتهاد هو بذل الوسع واستفراغ الطاقة في تحصيل أمر من الأمور التي تستلزم كلفة ومشقة ، ولا يستعمل في شئ يسير ، فيقال : اجتهد في حمل حجر الرحا ، ولا يقال : اجتهد في حمل خردل (١١) .

وأما الاجتهاد في الاصطلاح ، فقد عبر عنه الأصوليون بعبارات متفاوتة متعددة ، مثلاً ؛ قال الجرجاني : "هو استفراغ الفقيه الوسع ليحصل له ظن بحكم شرعي" (١٢) ، ولكن ابن الحاجب ذكر كلمة "ليحصل" إلى "لتحصيل" وباقي التعريف كما هو (١٣) ، وأما السبكي فقد عرف الاجتهاد بحذف كلمة : "شرعي"؛ لأن الحكم يغني عن كلمة : "شرعي" عنده (١٤) ، وقد زاد الإمام الآمدي على ذلك ؛ فقال : "هو استفراغ الوسع في طلب الظن بشئ من الأحكام الشرعية على وجه يحس من النفس العجز عن المزيد عليه" (١٥) ، فجعل الإحساس بالعجز عن المزيد جزءاً من الاجتهاد ، و لعل العبارة الأولى كافية إذ ليس على المكلف إلا بذل

وسعه ، كما قال تعالى : ﴿ لا يُكلّف الله نفساً إلا وُسعها ﴾ (١٦) ، وإنما قال ذلك ليسد الطريق على المقصرين الذين يخطفون الأحكام خطفاً دون أن يجهدوا أنفسهم في مراجعة الأدلة والتعمق في فهمها ، والنظر فيما يعارضها .

وأحسن التعريفات للاجتهاد – في نظري – هو ما ذهب إليه الإمام الشوكاني في كتابه المشهور "إرشاد الفحول" بقوله : "هو بذل الوسع في نيل حكم شرعي عملي بطريق الاستنباط" (١٧) ؛ فقوله : "بذل الوسع" يخرج ما يحصل مع التقصير ، فإن معنى بذل الوسع أن يحس من نفسه العجز عن المزيد ، وقوله : "شرعي" يخرج اللغوي والعقلي والحسي ، فلا يسمي من بذل وسعه في تحصيلها مجتهداً اصطلاحاً ، وكذلك بذل الوسع في تحصيل الحكم الاعتقادي لا يسمى اجتهاداً عند الفقهاء ، ولو يسمي اجتهاداً عند المتكلمين ، وقوله : "بطريق الاستنباط" يخرج نيل الأحكام من النصوص ظاهراً أو حفظ المسائل أو استعلامها من المفتي أو بالكشف عنها في كتب العلم ، فإن ذلك – وإن كان يصدق عليه الاجتهاد اللغوي – لا يصدق عليه الاجتهاد الاصطلاحي (١٨) .

شروط المجتهد : المجتهد هو الفقيه الذي يستفرغ وسعه لتحصيل حكم شرعي (١٩) ، فالمجتهد له مكانة سامية ومنزلة مرموقة لأنه قائم مقام النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم لكونه وارثاً للعلم ، ومبلغاً إياه إلى الأمة ، و معلماً للناس ، فقد ورد في الصحيح قول الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم : "إن العلماء ورثة الأنبياء ، و إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، و إنما ورثوا العلم" (٢٠) فمنصب الاجتهاد من أسمى المناصب الدينية والدنيوية ؛ لأن صاحبه يتكلم مبيناً حكم الله سبحانه وتعالى (٢١) .

فهناك شروط عامة للمجتهد وشروط خاصة للمجتهد ، أما الشروط

العامة ؛ فهي ثلاثة : ١– الإسلام . ٢– التكليف . ٣– العدالة .

فهذه الشروط من الشروط العامة اللازمة لأن الاجتهاد عبادة ، و الإسلام ، والتكليف شرط لصحة العبادة ، وكذلك العدالة شرط لقبول فتوى المجتهد والعمل بقوله ؛ فلا يقبل فتوى الفاسق ، ولا يعمل بقوله (٢٢) .

وهناك شروط خاصة للمجتهد ، قد اختلفت آراء الفقهاء في بعضها ، ونحن نذكر الأهم منها .

العلم بالقرآن الكريم : خصوصاً آيات الأحكام منها ؛ لأنه المصدر الأول لشريعة الإسلام ، و عمدة الملة ، وينبوع الحكمة ، و نور الأبصار و البصائر المسلمة ، فلابد للمجتهد من العلم باللغة ، وما يعرف به معاني الآيات ، وفهم مفرداتها وتراكيبها وغيرها من العلوم القرآنية ؛ فيستطيع بذلك أن يتدبر القرآن ويستنبط منه (٢٣) .

العلم بالسنة : لأنها المصدر الثاني للشريعة ، وهي شارحة للقرآن الكريم ، فلابد للمجتهد أن يعرف السنة حسب ما يحتاج إليه للاستنباط ، ولا يلزم له حفظ جميع الأحاديث ، بل يكفيه أن يعرف أحاديث الأحكام بحيث يكون قادراً على الرجوع إليها عند الاستنباط (٢٤) .

العلم باللغة العربية : لأن المصدرين الأصلين – الكتاب والسنة – باللغة العربية ، فلابد للمجتهد من فهم اللغة العربية ، ولا يشترط له أن يكون إماماً في اللغة كسيبويه والمبرد ، وإنما يكفيه معرفة القدر الذي يفهم به خطاب العرب ، وعاداتهم في الاستعمال إلى حد يميز به بين صريح الكلام وكنايته ، ومجمله ، ومفسره ، وغيرها من الأشياء اللازمة (٢٥) .

العلم بأصول الفقه : أصول الفقه هو عماد الاجتهاد وأساسه الذي تقوم عليه أركان بنائه (٢٦) ؛ فيقول الإمام الرازي : "إن أهم العلوم للمجتهد علم أصول الفقه .." (٢٧) فعلى المجتهد أن يعرف أصول الفقه – خصوصاً القياس – وذلك لفهم قواعده العامة ، وأدلته الإجمالية للاستفادة من هذه الأدلة ؛ فيقدم على الاجتهاد إذا أحس في نفسه تحقق هذه الشروط ،

و يمتنع إذا اختل شرط (٢٨) .

العلم بمقاصد الشريعة : مقاصد الشريعة هي الغايات أو الأهداف التي شرعت لها أو عندها الأحكام (٢٩) ؛ فلابد للمجتهد أن يعرفها جملةً وتفصيلاً ليلتزم في اجتهاده بالأهداف العامة والخاصة التي قصد التشريع حمايتها ، والتي تدور حول حفظ مصالح الناس المتمثلة في الحفاظ على الدين ، والنفس ، والمال ، والعقل (٣٠) .

العلم بمواضع الإجماع : لا ينبغي للمجتهد أن يفتي خلاف ما وقع عليه الإجماع فلذلك يجب عليه العلم التام بمواضع الإجماع ، ولا يلزم له أن يحفظ جميع المسائل التي وقع فيها الإجماع ؛ بل يكفيه بأن فتواه لا يخالف الإجماع (٣١) .

معرفة الناس والحياة وأحوال عصره : لابد للمجتهد أن يكون على إلمام تام بالناس ، والحياة ، وأحوال عصره ، وظروف مجتمعه الذي يعيش فيه لكي يستطيع بذلك تكييف الوقائع التي يجتهد في استنباط الأحكام لها ، فيكون حكمه سليماً ، واجتهاده صحيحاً ، قال ابن القيم : "معرفة الناس أصل يحتاج إليه المجتهد ، وإلا أفسد أكثر مما أصلح ، فعليه أن يكون عالماً بالأمر والنهي ، وطبائع الناس ، وعوائدهم ، وأعرافهم ، والمتغيرات الطارئة في حياتهم ، فالفتوى قد تتغير بتغير الزمان والمكان ، والعوائد والأحوال" (٣٢) .

هناك بعض الشروط التي اختلف فيها من أهمها : العلم بأصول الدين ، والعلم بالفروع الفقهية ، والعلم بالدليل العقلي (٣٣) .

هذه هي شروط الاجتهاد ، فهل تتحقق هذه الشروك في علماء زماننا ؟

لقد أجاب على هذا السؤال الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الأزهر الأسبق ، وقرر إمكان وجود شروط الاجتهاد في بعض العلماء المعاصرين (٣٤) ، فيقول في هذا الشأن : "معظم شروط الاجتهاد يشتمل

عليه ثلاثة فنون : الحديث ، واللغة ، وأصول الفقه ، ولقد جمع العلماء آيات الأحكام في غير ما كتاب ، وجمعوا مواقع الإجماع في غير ما كتاب ، و جمعوا الناسخ والمنسوخ في غير ما كتاب ، وأصبحت الأحكام مدونة في كتاب الفقه ، وفي شروح الحديث ، وكتب التفاسير ، وقد انتهى زمن الرواية للحديث ، و أصبحت الأمة تعتمد على الكتب المدونة .. و لا يعسر لطلاب العلم البحث عن رواة أي حديث من الأحاديث ، واللغة العربية وفنونها من نحو ، وصرف ، وأدب ، وبلاغة ؛ تدرس في المعاهد الدينية وغيرها دراسة دقيقة تكفي لفهم خطاب العرب ، كما يدرس أصول الفقه على أدق الوجوه ، وأكملها وينظم المجمع وسائل الوصول إلى الاجتهاد الجماعي ليؤخذ به عند الحاجة ..." (٣٥) .

هناك سؤال آخر ألا وهو : هل نحن بحاجة إلى الاجتهاد في المستجدات في هذا العصر ؟

قد يذهب بعض العلماء المشتغلين بالعلوم الإسلامية إلى أننا لسنا بحاجة إلى اجتهاد جديد ، و ذلك لفرط إعجابهم بتراثنا الحافل ، وفرط ثقتهم بفقهائنا الكرام ، فيقولون : فما من مسألة إلا وجدنا عند الأقدمين مثلها ، فقد اجتهدوا للواقع ، وافترضوا لما قد يتوقع ، فلسنا محتاجين إلى الاجتهاد بعد هؤلآء العباقرة الأفذاذ ، فما علينا إلا أن نرجع إلى كتبهم ، وننقب في أحشائها لنجد فيها ضالتنا ، و الإجابة عن مسألتنا بالنص ؛ أو بالقياس ؛ أو بالترجيح ؛ أو بالتخريج .

نعم ! نحن لا ننكر قيمة تراثنا الحافل ، ولا نقلل من عظيم شأن فقهائنا ، وفقههم بمدارسه المتعددة ، و ينابيعه المتنوعة من اجتهادات واقعية و افتراضية ، ولكن الحق بأنه من المبالغة ، وتجاهل الواقع ، الإدعاء بأن الكتب القديمة فيها الحل عن جميع المشاكل المستجدة ؛ لأن كل عصر له مشكلاته ، وحاجته المتجددة ، والأرض تدور ، والأفلاك تتحرك ،

والعالم يجري ، وعقارب الساعة لا تتوقف ، مع هذا الدوران المستمر ، والحركة الدائمة ، والسير الحثيث تتمخض أرحام الأيام ، والليالي عن أحداث ، و وقائع جديدة لم يعرفها السابقون (٣٦) ، ولعل هذه الأشياء لم تخطر ببالهم ، بل ربما لو ذكرتْ لهم لعدوها من المستحيلات ، فكيف يتصور حكمهم عليها ، وهي لم تدر بخلدهم لحظة من الزمان ؟ و كذلك أن بعض الوقائع والأمور القديمة قد تطرأ عليها من الأحوال و الأوصاف ما يغير طبيعتها ؛ أو حجمها ؛ أو تأثيرها ، فلا يناسب ما حكم به الأقدمون ، حتى لو بعث واحد منهم في هذا الزمان ، ورأى هذا العالم العجيب ، وما جد فيه لقال هذا عالم جن أو شياطين ، لعل ما صنع الشياطين لسليمان عليه السلام المسخرون له أخف من عجائب الصناعات التي صنعها إنس اليوم ؛ حتى وصل بها إلى القمر ! (٣٧) .

ويقول الدكتور حسن أحمد مرعي : "... الاجتهاد ، نرى أنه ضرورة لازمة لنا أكثر من أي وقت مضي ، فالحوادث متجددة ، و المصالح متشابكة سواء كانت هذه مصالح أفراد ؛ أو مصالح دولة ؛ أو مصالح دول ، لابد من تطبيق الشريعة عليها ، و لابد من النظر إليها في إطار هذه الشريعة السمحة التي جاءت بمراعاة مصالح الخلق ، يلاحظ ذلك من ورودها متدرجة من الأخف إلى الأصعب حتى يسهل على الناس التزامها ، ولو نزل أول ما نزل "لا تشربوا الخمر" ما تركوا شربه أبداً (٣٨) ، و لا شك أن مئونة الاجتهاد أخف مما كانت عليه في عصور سلفنا الصالح ، فإن العلوم قد دونت ، وكثرت الكتب المختلفة التي تعبر عن اتجاهات متعددة ... فلينظر علماء أمتنا فيما يحقق الخير ، و المصلحة لهذه الأمة في ظل هذه الشريعة الخالدة العامة ، وبهذا نجعل صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان ، ومن المسلم عند علمائنا أن الفتاوى تتغير بحسب الأمكنة ، و الأحوال ، و العوائد ... (٣٩) .

هناك كلام عجيب ، قاله الإمام الشهرستاني : "وبالجملة نعلم قطعاً ويقيناً أن الحوادث ، والوقائع في العبادات والتصرفات مما لا يقبل الحصر ، والعد ، ونعلم قطعاً أيضاً أنه لم يرد في كل حادثة نص ، ولا يتصور ذلك أيضاً ، والنصوص إذا كانت متناهية ، والوقائع غير متناهية ، وما لا يتناهي لا يضبطه ما يتناهى ، فعلم قطعاً أن الاجتهاد ، والقياس واجب الاعتبار ؛ حتى يكون بصدد كل حادثة اجتهاد (٤٠) .

فالاجتهاد حياة التشريع ؛ فلا بقاء لشرع الله ما لم يظل الفقه ، و الاجتهاد فيه حياً مرناً ذا فعالية وحركة ... والاجتهاد ممكن كل الإمكان ، ولا صعوبة فيه بشرط أن ندفن تلك الأوهام ، والظنون ، و نمزق ذلك الران الذي خيم على عقولنا وقلوبنا من رواسب الماضي ، و آفات الخمول ، ومِنْ ظنٍّ آثمٍ عدمُ إمكان الوصول إلى ما وصل إليه الأولون ، فكان ذلك نوع من المستحيل ، وهل هناك مستحيل بعد غزو الفضاء ، واختراع الذرة والكهرباء ؛ وتوابعها ؟ ليت شعري لو كان في زماننا مثل أبي حنيفة بطل الحرية والتفكير ، فهل يرضى بما عليه علماء اليوم ، و أساتذة الجامعات ؟! (٤١) . (يتبع)

الهوامش والمراجع :

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٨٥ . (٢) سورة الأنعام ، الآية : ٣٨ . (٣) سورة النحل ، الآية : ٨٩.

(٤) ابن منظور ؛ جمال الدين محمد بن مكرم [ت/٧١١هـ] "لسان العرب" ، ط/١٤١٢هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت : ج/٢ ، ص/٣٩٥-٣٩٧ .

(٥) سورة المائدة/٥٣ ، الأنعام/١٠٩ ، النور/٥٣ ، فاطر/٤٢ .

(٦) مجمع اللغة العربية بالقاهرة ؛ "المعجم الوسيط" ، ط/دار الدعوة إستانبول : ج/١، ص/١٤٢.

(٧) الفيروزآبادي ؛ مجد الدين [ت/٨١٧هـ] "القاموس المحيط" ، ط/٣ ، سنة ١٤١٢هـ ، مؤسسة الرسالة بيروت : ص/٣٥١ .

(٨) الفيومي ؛ أحمد بن محمد المقري [ت/٧٧٠هـ] "المصباح المنير في غريب شرح الكبير" ، ط/مكتبة لبنان : ص/٤٤ .

(٩) معلوف ؛ الأب ؛ "المنجد في اللغة والأعلام" ط/٢٨ ، دار المشرق بيروت : ص/١٠٦ .

(١٠) "المعجم الوسيط" : ج/١ ، ص/١٤٢ .

(١١) نقل هذا المعنى كثير من علماء أصول الفقه ، مثلاً : الغزالي ؛ أبو حامد محمد ابن محمد [ت/٥٠٥هـ] "المستصفى من علم الأصول" ، ط/١٣٢٢هـ ، المطبعة الأميرية مصر : ج/٢ ، ص/٣٥٠ ، ابن قدامة ؛ موفق الدين عبد الله بن أحمد [ت/٦٢٠هـ] "روضة الناظر وجنة المناظر" ، ط/دار الفكر العربي القاهرة : ص/١٩٠ .

(١٢) الجرجاني ؛ الشريف علي بن محمد ؛ "كتاب التعريفات" ، ط/٣ ، ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية بيروت : ص/١٠ .

(١٣) ابن الحاجب ؛ جمال الدين أبو عمر عثمان بن عمر بن أبي بكر [ت/٧٤٧هـ] "مختصر المنتهى" ، ط/١٣٢٦هـ ، مع شرحه للعضد ، دار الكتب العلمية بيروت : ص/١٩.

(١٤) السبكي ؛ "جمع الجوامع مع شرح المحلى" ، طبعة بيروت : ج/٢ ، ص/٣٨٩.

(١٥) الآمدي ؛ سيف الدين علي بن أبي علي بن محمد [ت/٦٣١هـ] "الإحكام في أصول الأحكام" ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده القاهرة : ج/٣ ، ص/١٦٢ .

(١٦) سورة البقرة ، الآية : ١٨٦ .

(١٧-١٨) الشوكاني ؛ محمد بن علي [ت/١٢٥٠هـ] "إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق في علم الأصول" ، ط/١٩٣٨م ، مصطفى حلبي القاهرة : ص/٢٥٠ .

(١٩) أمير بادشاه ؛ محمد أمين بن محمود ؛ "تيسير التحرير" ، ط/١٣٥١هـ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة : ج/٤ ، ص/١٣٧ .

(٢٠) رواه أبو داؤد ، والترمذي ، وأحمد ، وصححه ابن حبان ، و الحاكم ، وأخرجه البخاري بعبارة مقاربة له ، انظر : العسقلاني ؛ أحمد بن علي بن حجر [ت/٨٤٠هـ] "فتح الباري شرح صحيح البخاري" : ج/١ ، ص/١٦٩ .

(٢١) الشاطبي ؛ "الموافقات" : ج/٤ ، ص/١٤٠ .

(٢٢) إمام الحرمين ؛ أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني [ت/٤٧٨هـ] "البرهان في أصول الفقه" ؛ تحقيق عبد العظيم ١٣٩٩هـ ، مطابع الدوحة قطر : ج/٢ ، ص/٣٣٢ ، الشافعي ؛ محمد بن إدريس [ت/٢٠٤هـ] "الرسالة" ؛ تحقيق أحمد محمد شاكر ١٩٧٩م ، دار التراث القاهرة : ص/٣٩-٤١ ، التفتازاني ؛ سعد الدين مسعود بن عمر [ت/٧٩٣هـ] "التلويح على التوضيح" ١٣٢٢هـ ، المطبعة الخيرية بمصر : ج/٢ ، ص/١١٧ .

(٢٣) الشرفي ؛ د/عبد المجيد السوسوه ؛ "الاجتهاد الجماعي في التشريع الإسلامي" ،

ط/١ ، سنة ١٤١٨هـ ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ؛ الدوحة - قطر : ص/٦٣ .

(٢٤) الشوكاني ؛ "إرشاد الفحول" : ص/٤١ .

(٢٥) البخاري ؛ علاء الدين عبد العزيز بن أحمد [ت/٨٣٠هـ] "كشف الأسرار شرح أصول البزدوي" ، سنة ١٣٩٤هـ، طبعة دار الكتاب العربي بيروت : ج/٤ ، ص/١٦ .

(٢٦) الشوكاني ؛ "إرشاد الفحول" : ص/٢٣٤ .

(٢٧) الرازي ؛ فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين [ت/٦٠٦هـ] "المحصول في علم الأصول" ، تحقيق طه جابر فياض العلواني ١٩٨٠م ، طبعة جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية ، ط/١ ، قسم/٢ : ص/٣٦ .

(٢٨) أبو زهرة محمد "أصول الفقه" ١٣٧٧هـ ، دار الفكر العربي القاهرة : ص/٣٨٥ بتصرف يسير .

(٢٩) الزحيلي ؛ د/وهبة ، "أصول الفقه الإسلامي"، ط/١، سنة ١٤٠٦هـ، دار الفكر بيروت : ج/٢ ، ص/١٠٤٩ .

(٣٠) الشرفي ؛ "الاجتهاد الجماعي" : ص/٦٨ .

(٣١) ابن عبد الشكور محب الله البيهاري [ت/١١١٩هـ] "مسلم الثبوت شرح فواتح الرحموت" ، مطبعة بولاق القاهرة : ج/٢ ، ص/٣١٩ .

(٣٢) ابن القيم ؛ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر [ت/٧٥١هـ] "إعلام الموقعين" سنة ١٩٦٩م ، طبعة منيرية مصر : ج/٤ ، ص/١٩٩ .

(٣٣) الشرفي ؛ "الاجتهاد الجماعي" : ص/٨١-٨٢ .

(٣٤) البري ؛ د/زكريا "الاجتهاد في الشريعة الإسلامية" ، طبعة جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية : ص/٢٥٢ .

(٣٥) المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (مارس ١٩٦٢م) : ص/٣٩٤ .

(٣٦) القرضاوي ؛ د/يوسف "الاجتهاد في العصر الحديث" ، طبعة الإنترنت (Qardawi.com) ، القسم السابع : ص/١-٢ .

(٣٧) المرجع السابق : ص/٣ بتصرف يسير .

(٣٨-٣٩) مرعي ؛ د/حسن أحمد "الاجتهاد في الشريعة الإسلامية" ، ط/١٤٠٤هـ ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية : ص/١٥٥ .

(٤٠) الشهرستاني ؛ أبو الفتح محمد بن عبد الكريم [ت/٥٤٨هـ] "الملل والنحل"، طبعة دار الكتب العلمية بيروت : ج/١ ، ص/١٩٩ .

(٤١) الزحيلي ؛ د/وهبة "أصول الفقه الإسلامي" : ج/٢ ، ص/١٠٨٧-١٠٨٨ .

الفقه الإسلامي :

الوكالة بالخصومة ((المحاماة))

بين المانعين والمجيزين في الفقه الإسلامي

بقلم : الدكتور عارف علي عارف
(الأستاذ المشارك بالجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا)

الحمد لله الذي أقام السماوات والأرض على العدل ، وأنزل الكتاب بالحق ، ليقوم الناس بالقسط ، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد رسول العدل والإنسانية ؛ خير من أنصف المظلوم ؛ وبعد :

لقد عرف الفقه الإسلامي ، والتاريخ القضائي الإسلامي نظاماً في الدفاع عن طرفي الدعوى ؛ سمي : "وكلاء الخصومة" ؛ أو "وكلاء الدعاوى" (١) ، وهو المحاماة في حقيقته ، ولم يذكروا كلمة المحاماة باسمها وصفتها ، لأنها حديثة التنظيم ، وقد بحث الفقهاء موضوع المحاماة تحت ذلك العنوان ، وأصبح معروفاً بها في كتب الفقه والتراجم (٢) ، وأطلق على من يمارس هذه المهنة "الوكلاء" .

أما المعنى الفقهي للوكالة بالخصومة ، فالوكالة معناها : تفويض التصرف إلى الغير (٣) ، وعرفت مجلة الأحكام العدلية "التوكيل" بأنه :

(١) وكان يسمى أيضاً : وكلاء القاضي أو وكلاء الحكم .
(٢) تاريخ بغداد ؛ الخطيب البغدادي (بيروت - دار الكتاب العربي) : ٢٨٧/٩ ، ٤١/١١ ، وانظر : قضاة قرطبة - للخشني ، طبعة الدار المصرية : ص/٥٣ .
(٣) المبسوط للسرخسي (دار المعرفة/١٩٧٨م) : ج/١٩ ، ص/٢ ، عون المعبود (دار الكتاب العربي) : ج/١٠ ، ص/٦ ، وتحفة الفقهاء - علاء الدين السمرقندي (دار إحياء التراث الإسلامي) : ج/٣ ، ص/٣٨٠ .

تفويض أحد أمره لآخر ، وإقامته مقامه في ذلك الأمر (٤) ، وهي تصح تبرعاً ، وتصح بأجر لقوله تعالى : ﴿ والعاملين عليها ﴾ [التوبة/٦٠] ، فهو توكيل على جباية الزكاة بجُعَل ، والرسول الأعظم صلّى الله عليه وسلّم كان يبعث عماله لقبض الصدقات لقاء جُعل (٥) ، و قد أجمعت الأمة على جواز الوكالة في الجملة ؛ لأن الحاجة داعية إلى ذلك .

أما الخصومة ؛ فهي : الدعوى والجواب عنها (٦) .

فالوكالة بالخصومة معناها : إنابة شخص آخر ليقوم مقام نفسه أمام المحكمة المختصة (٧) ، والتوكيل بالخصومة هو من الحقوق الجائز فيها التوكيل ، لأن الغرض هو إظهار الحق ، بإثبات الدعوى للمدعي ، أو دفعها عن المدعى عليه ، يقول السرخسي رحمه اللّه تعالى : وقد جرى الرسم على التوكيل على أبواب القضاة من لدن رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم إلى يومنا هذا من غير نكير منكر ، ولا زجر زاجر (٨) ، ويقول السمناني في كتابه : "روضة القضاة" مستدلاً على مشروعية الوكالة بالخصومة : وهو عمل جميع الناس في جميع الأمصار (٩) ، و قد عرف مبدأ الوكالة بالخصومة منذ فجر الإسلام ، ومارسها بعض الصحابة ، و عرفت

(٤) المادة/١٤٤٩ من مجلة الأحكام العدلية .
(٥) مشكاة المصابيح للتبريزي : (دار إحياء التراث العربي) : ٣٣٧/٢ ، تبصرة الحكام لابن فرحون (دار الكتب العلمية) : ١٥٤/١ .
(٦) تكملة حاشية ابن عابدين ؛ محمد علاء الدين (دار الفكر) : ٣٩٨/٧ .
(٧) أصول المرافعات والصكوك في القضاء الشرعي ؛ محمد شفيق العاني (مطبعة الإرشاد - بغداد) : ص/٥٠ .
(٨) المبسوط للسرخسي : مصدر سابق : ٤/٩ .
(٩) روضة القضاة وطريق النجاة - السمناني ، تحقيق صلاح الدين الناهي (بغداد - مطبعة أسعد) : ١٨١/١ .

بعد عصرهم ، و قد زاولها أشخاص على مدى التاريخ القضائي الإسلامي ، وثمة حاجة إلى تلك الوكالة ، فليس كلّ إنسان يهتدي إلى وجوه المخاصمات ، ولأن كل تصرف يجوز للإنسان أن يتولاه بنفسه ، فإنه يجوز أن يوكل فيه غيره (١٠) .

أما المحاماة فقد عرفت بأنها : "مهنة علمية فكرية حرة مهمتها التعاون مع القضاة على تحقيق العدالة ، والدفاع عن حقوق الموكلين" (١١) ، و الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله يعرف المحامي بأنه : "العليم بالقانون الذي يستطيع أن يثبت حق ذي الحق ، ويدفع باطل المتعدي ، معتمداً في ذلك على علمه بما شرع القانون من حقوق ، وما ألزم من واجبات ، و ما قيد به الحريات ، حفظاً للجماعة ، وتثبيتاً للمصالح" (١٢) ، والدكتور مفلح عواد القضاة ؛ يقول : "المحامون هم طائفة من رجال القانون ، و أعوان القضاة ، الذين اتخذوا مهنة لهم ، لتقديم المساعدة القضائية و القانونية لمن يطلبها لقاء أجر" (١٣) ، ويرى الأستاذ أحمد حسن كرزون حفظه الله بأن المحاماة : تكليف أصولي للدفاع عن أحد الأطراف المتخاصمة ورعاية مصالحه ، ويكون على الغالب مقابل أجر محدد أو مقدر (١٤) .

---

(١٠) الوسيط في التنظيم القضائي في الفقه الإسلامي – فؤاد عبد المنعم أحمد ، و الحسني علي غنيم (مصر – مؤسسة شباب الجامعة) : ص/١٢٩ ، تبصرة الحكام –لابن فرحون (دار الكتب العلمية) : ١٥٤/١ .

(١١) قانون تنظيم مهنة المحاماة السوري ، رقم/٣٩ في ١٩٨١/٧/٢١م .

(١٢) الخطابة – محمد أبو زهرة (دار الفكر العربي ١٩٨٠م) : ص/١٧٥ .

(١٣) أصول المحاكمات المدنية ، والتنظيم القضائي في الأردن ، مفلح عواد القضاة (عمان – دار الثقافة) : ص/١٠٧ .

(١٤) المحاماة ؛ رسالة وأمانة – أحمد حسن كرزون (بيروت/دار ابن حزم ١٩٩٣م) : ص/١٢.

وتلك التعاريف التي وردت هي تعاريف متقاربة في مدلولها لمهنة المحاماة.

والوكالة بالخصومة هي المحاماة بلغة العصر عموماً ، لأن وكيل الدعوى في كلا النظامين يمارس عملاً مبنياً على قواعد الوكالة ، فقواعد وأسس التوكيل بالخصومة لا تختلف كثيراً عن التشريعات الحديثة في مهنة المحاماة ، إذ برغم وجود أصول كلية وأحكام عامة تبين كيفية ممارسة الوكالة بالخصومة .

وبرغم أن الفقهاء قديماً قد أوردوا كثيراً من القواعد المتعلقة بها ، فيما يجوز وما لا يجوز ، وسلطات الوكيل بالخصومة ، و حق الموكل في عزل الوكيل وغير ذلك (١٥) ، إلا أنه لم تعرف المحاماة كمهنة اجتماعية منظمة ، ولم تنظم بتلك الدقة في التاريخ القضائي الإسلامي ؛ كما نظمت في هذا العصر .

نبذة تاريخية عن المحاماة :

المحاماة عمل أريد به منذ أقدم العصور صيانة الحقوق ، وإقامة العدالة ، وتحقيق مصالح الناس ، ودفع المفاسد عنهم ، وتعد من باب التعاون على البر والتقوى ، ونصرة البائس والمظلوم ، وأداء رسالة العدل ، إذ إن المحامي يفترض فيه أن يكون ملجأً للمظلوم وسنداً للمهضوم ، وحامياً للضعفاء يدافع متبرعاً ، أو مأجوراً عن القضايا العادلة ، ويرد الحقوق المغتصبة إلى أصحابها ، ويؤدي رسالته بإخلاص ، ولا يباشر أية دعوى قضائية يبدو أنها غير عادلة ، أو غير شريفة ، ولا يضيرها أن يكون بين أفرادها من يسيئون إليها وإلى أنفسهم .

إن حق الدفاع حق مشروع لكل من المتخاصمين ، إما بأنفسهما ، أو بمن ينوب عن كل منهما ، لذلك فإن دساتير العالم اليوم ، والأنظمة

---

(١٥) انظر : معين الحكام –للطرابلسي : ص/٦٣، والتبصرة –لابن فرحون : ١٥٤/١، والتنظيم القضائي في الفقه الإسلامي – محمد مصطفى الزحيلي (دار الفكر) ص/٧٦.

القانونية ، و الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، كل ذلك يدعو إلى كفالة حق الدفاع ، والتأكيد عليه بوصفه حقاً من الحقوق الأساسية للإنسان ، وحق الدفاع هذا وجد منذ وجدت الخصومة ، وهي من لوازم الاجتماع .

لقد عُرفت المحاماة في التاريخ الإنساني باسم غير اسمها الحالي ، وعرفها المجتمع الإنساني منذ قديم الزمن ، إذ ظهر رجال من أهل العلم يستعين الناس بهم في مشوراتهم وخصوماتهم ، فوظيفة المحامي أقدم كثيراً من لقبه ، فقد وجد المحامون في أقدم الحضارات ، ففي كل الأمم المتمدنة كان هناك على الدوام رجال أفاضل ضليعون في مبادئ القانون ، ساعدوا الغير ، بما أسدوه من نصح ، ودافعوا عن أولئك الذين كانوا عاجزين عن الدفاع عن أنفسهم بأنفسهم (١٦) ، فقد عرفها الكلدانيون ، والفرس ، وأهل بابل ، وقدماء المصريين ، و عرفها اليونان ، إذ قد نما نظام الدفاع عن المتهم عندهم ، حتى أصبحت أثينا مدرسة المحاماة الأولى ، و قد اهتم مشرع اليونان "سولون" بتلك المهنة الوثيقة الصلة بالقضاء ، وبمصالح الناس ، حتى إنه قال : لا يمكن تصور قضاء بدون مدافع ، أو حكم بدون دفاع ، وأصدرت من القوانين ما رفع من قدر المحاماة ، وقدر رجالها ، فاشترطوا أن يكون المحامي على خلق ، لذلك حرموا المهنة على من جحد حقوق والديه ، أو تنحى عن الدفاع عن الوطن ، أو أسهم في تجارة غير شريفة ، أو عُرف بفساد الخلق ، أو علقت به ريبة أو شبهة (١٧) .

---

(١٦) المحامون – جورج بوبي شمار ، تعريب سليم الصويص ، نقابة المحامين بالأردن : ص/١٠ .

(١٧) كان قدماء المصريين – في بعض عصورهم – لأجل سير العدالة ، وحماية القاضي من التأثيرات النفسية ، قد حتموا أن تكون مرافعات المحامين بالكتابة فقط ، خشية منهم من تأثير بلاغة المحامي ، وسحر بيانه ، و طلاقة لسانه ، لأن التأثير الخطابي <<<

وقد اعتبر المشرع اليوناني مقاعد المحامين – مبالغة منه في تقدير رسالة المحاماة – مكاناً مقدساً كحرم القضاء ، فهي ترش بالماء المقدس – كما كانوا يعتقدون – قبل كل جلسة ، ليدرك القضاة والمحامون جلال رسالتهم ، وقد كان لقوة تأثير المرافعات في مجالس القضاء عندهم أثر واضح في الأحكام ، حتى سُنت القوانين لمنع الخطباء من استخدام الوسائل لإثارة الوجدان والعواطف فيها ، وحتى عُين في كل محكمة رجل يقاطع الخطيب أو يسكته كلما رآه يحاول التأثير بقوة العاطفة والألفاظ ، وإثارة الإعجاب (١٨) .

أما "روما" فعرفت المحاماة أيضاً ، فكان المحامي في نظرهم هو حامي موكليه ، يشرف على أمورهم ، ويقدم المهور لبناتهم عند الزواج ، ولا ينتظر منهم إلا قدراً من الإخلاص وعرفان الجميل ، وكانت قوانين "روما" تبيح للمحامين أن يقولوا كل ما يتطلبه الدفاع عن موكليهم ، وأباحت للقضاة أن يشتغلوا بالمحاماة ، إذ الوقوف للمرافعة لا يقل شرفاً عن الجلوس للفصل في القضايا ، بل إن كثيراً من أباطرة الرومان أنفسهم – وبعد أن لبسوا عباءة الحكم – لم يجدوا غضاضة في أن يتقدموا للمحاماة ليتعلموا أنظمتها ، ويأخذوا عنها ؛ كيف يكون توزيع العدل بين الناس (١٩) .

واليهود في زمن موسى عليه الصلاة والسلام كان لهم رجال يشتغلون أمام

<<< الخطابي بالصوت والإلقاء ، والحركات ، والإشارات مما كانوا يخشونه خوفاً من العدالة من أن تذهب فريسة قوة التأثير، انظر : جيرهارت ، يوجين : كنوز المحاماة ، ترجمة حسن الجداوي ، ومحمد عمر (مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٧م) : ص/٢١٣ ، والخطابة –للشيخ محمد أبو زهرة : ص/١٣٧ ، مصدر سابق .

(١٨) كنوز المحاماة – جير هارت ، يوجين مصدر سابق : ص/٢٣ .

(١٩) كنوز المحاماة ؛ مصدر سابق : ص/٢٤ .

القضاء فيما يشبه المحاماة اليوم ، و كان من اختصاصهم حل المشكلات التي تظهر بين الأفراد من المسائل القانونية ، وكانوا لا يقبضون أجورهم ممن يعملون لمصلحته ، بل يأخذون على عملهم هذا جُعلا من بيت المال ، وكانوا يُعتبرون كأنهم من رجال القضاء ، وهم الذين يُنتخب من بينهم القضاة (٢٠) .

وفي "فرنسا" ؛ فإن أول من بدأ تنظيم المحاماة و وضع القواعد والأسس لها هو لويس التاسع ملك "فرنسا" ، فحتّم على المحامين ألا يتقدموا للقضاء إلا بقضايا سليمة ، و أن يبتعدوا في دفاعهم عن الاعتداء على الخصم ، وأن يلتزموا القصد في التعبير ، وألا تتحرك شفاههم بمذمة أو نقيصة ، و أما لويس الثاني عشر ؛ فقد اهتم بهذه المهنة ، و هو الذي قال : لو لم أكن ملكاً على "فرنسا" لوددت أن أكون محامياً في بوردو (٢١) ، و أول قانون لتنظيم مهنة المحاماة أصدره نابليون بونابرت عام ١٨١٠م ، وبلغ عدد المحامين في مدينة "باريس" وحدها ثلاثة آلاف محام ، وذلك في عام ١٨٩٨م ، وفي عام ١٩٠٠م صدر قانون يبيح للمرأة حق مزاولة مهنة المحاماة ، واشترطوا الحصول على شهادة الليسانس في القانون ؛ لأجل ممارسة هذه المهنة ، مع أداء امتحان القبول ، وقضاء فترة التمرين لمدة ثلاث سنوات بمكتب أحد المحامين المعتبرين أمام محكمة الاستئناف (٢٢) .

---

(٢٠) المحاماة - أحمد فتحي زغلول (مطبعة المعارف بمصر) : ص/٤ .

(٢١) كنوز المحاماة : مصدر سابق : ص/٤١ .

(٢٢) المحاماة في المجتمع الاشتراكي -أبو اليزيد علي المميت (مصر- دار المعارف ١٩٦٤م) : ص/٦٠ ، المحاماة قديماً ، عزيز خانكي ١٩٤٠م : ص/١٣ و ما بعدها ، نقلاً عن المحاماة تاريخها في النظم ، و موقف الشريعة الإسلامية منها -للأستاذ مشهور حسن محمود (الأردن - دار الفيحاء ١٩٨٧م) : ص/٤١ .

ونظام المحاماة بصورتها الحالية وأسلوبها الحديث لم تعرف في العالم الإسلامي في نظامه القضائي قبل القرن الثاني عشر الهجري ، إذ هو نظام مستورد جاءنا من الغرب نتيجة للعلاقات الأوربية مع الدولة العثمانية ، ولما غزت أوربا العالم الإسلامي دخل المحامي ساحة المحكمة بصفته مترجماً ينقل إلى القاضي الأوربي كلام الخصم ، ثم منح هؤلاء المترجمون حقوقاً ، وأصبحوا يعرفون بالمحامين (٢٣) ، ثم وُضعت الأنظمة واللوائح لها ، وأُقيمت نقاباتها ، وتطور العمل النقابي فيها ، حتى قطعت مراحل كبيرة من الدقة والتنظيم .

و أول لائحة وضعت للمحامين في مصر كانت في سنة ١٨٨٠م ، وفي سنة ١٨٨٤م صدر نظام المحامين في الآستانة ، ثم توالى بعد ذلك تأسيس نقابة المحامين في البلاد الإسلامية ، فقد تأسست نقابة المحامين في دمشق عام ١٩٢١م ، وفي العراق عام ١٩٣٣م ، وفي الأردن عام ١٩٥٠م (٢٤) .

تلك نبذة مختصرة عن المحاماة في التاريخ ، أما من المنظور الإسلامي فقد انقسم الباحثون المعاصرون في مدى مشروعيتها إلى فريقين ، فريق حرّموا مهنة المحاماة ، وهم : "أقلية" ، وفريق آخر ؛ وهم : "الأغلبية" أجازوها بعد أن وضعوا لها ضوابط وشروطاً وآداباً ، وسنعرض أدلة كلا الفريقين مع مناقشتها في الحلقات القادمة - بمشيئة الله تعالى - . (للبحث صلة)

---

(٢٣) انظر : بحث المؤسسات الإدارية الخادمة للقضاء -للدكتور صلاح الدين الناهي بحث : المحاماة في الشريعة الإسلامية -للدكتور أبو سليم خادم حسين ، مجلة الأمة القطرية ، العدد/٣٤ .

(٢٤) موسوعة المحامي العربية - عمران محمد روسي (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٣م) : ٢١/١ ، والمحاماة : تاريخها في النظم ، مصدر سابق : ص/٤١ .

العقيقة : في الإسلام

بقلم : الدكتور محمد السيد علي بلاسي
(عضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر ، والخبير الدولي للإيسيسكو ..)

قال الله تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول اللّه أسوةٌ حسنةٌ * لمن كان يرجو اللّه * واليوم الآخر ﴾ [الأحزاب/٢١] .

و قال الله عزّوجل : ﴿ و ما آتاكُمُ الرسولُ * فخُذُوه * وما نهاكم عنه * فانتهوا ﴾ [الحشر/٧] .

وروى أبو داؤد والترمذي ؛ عن أبي نجيح العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : "وعَظَنَا رسول الله صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم موعظةً بليغةً وجلتْ منها القلوب ، و ذرفت منها العيون ، فقلنا : يا رسول اللّه ! كأنها موعظة مُوَدّع فأوصنا ، قال : "أوصيكم بتقوى اللّه ، والسمع ، والطاعة ، وإن تأمّر عليكم عبد حبشي ، و إنه من يعشْ منكم ؛ فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضُّوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة" .

ومن السنن الجلية في الإسلام (العقيقة) ، ومع ما لها من مكانة عظيمة ، ومنزلة سامية ، إلا أن كثيراً من المسلمين اليوم يغفلون عن القيام بها ؟!!

مفهوم العقيقة : العقيقة والعِقّة بالكسر: الشعر الذي يولد عليه كل مولود من الناس والبهائم ، ومنه سميت الشاة التي تذبح عن المولود يوم أسبوعه عقيقة (١).

(١) مختار الصحاح : للإمام أبي بكر الرازي ، مادة (عقق) : ص/٣٥٧ ، ط/عيسى البابي الحلبي ، د.ت.

ويقال للشعر الذي يخرج على رأس المولود في بطن أمه : عقيقة ؛ لأنها تحلق ، و جعل الزمخشري الشعر أصلاً ، و الشاة المذبوحة مشتقة منه (١) .

وتدور مادة (عقق) - في اللغة - حول : الشّقّ والقطع .

ففي اللسان : والعقّ في الأصل الشقّ والقطع ، وسميت الشعرة التي يخرج المولود من بطن أمه ، وهي عليه : عقيقة ؛ لأنها إن كانت على رأس الإنسيّ حلقت فقطعت ، وإن كانت على البهيمة ؛ فإنها تنسلها ، و قيل للذبيحة : عقيقة ؛ لأنها تذبح فيشق حلقومها ومريئها و وداجها قطعاً ، كما سمّيت ذبيحة بالذبح ، وهو الشقّ (٢) .

ومنه : عق والده يعق عقوقاً ومعقةً .. وفي الحديث : أنه صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم نهى عن عقوق الأمهات ، وهو ضد البر ، وأصله من العقّ : الشقّ والقطع ، وإنما خصّ الأمهات ، وإن كان عقوق الآباء وغيرهم من ذوي الحقوق عظيماً ؛ لأن لعقوق الأمهات مزيّة في القبح (٣) .

و لعل هذا كله ؛ هو ما دفع النبي المصطفى صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم - صاحب الحسّ المرهف - أن يكره تسميته العقيقة بهذا الاسم ؛ لأنها مشتقة من هذه المادة ، لو لا تعارف العرب على هذه التسمية ؟!!

ففي الحديث الذي رواه أحمد وأبو داؤد والنسائي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، قال : سئل رسول اللّه صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم عن العقيقة ، فقال : لا أحب العقوق وكأنه كره الاسم ، فقالوا : يا رسول الله ! إنما نسألك عن أحدنا يولد له ، قال : "من أحب منكم أن ينسك عن ولده فليفعل ، عن الغلام شاتان مكافأتان وعن الجارية شاة" .

(١-٢-٣) لسان العرب : لابن منظور ، مادة (عقق) : ص/٣٠٤٤ ، بتحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين ، ط/دار المعارف .

يقول الإمام الشوكاني : (قوله :وكأنه كره الاسم) وذلك لأن العقيقة التي هي الذبيحة والعقوق للأمهات مشتقّان من العقّ الذي هو الشقّ و القطع ، فقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : "لا أحب العقوق" بعد سؤاله عن العقيقة للإشارة إلى كراهة اسم العقيقة لما كانت هي والعقوق يرجعان إلى أصل واحد ، ولهذا قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : "من أحب منكم أن ينسك" إرشاداً منه إلى مشروعية تحويل العقيقة إلى النسيكة ، وما وقع منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم من قوله مع الغلام عقيقته ، وكل غلام مرتهن بعقيقته ورهينة بعقيقته ، فمن البيان للمخاطبين بما يعرفونه ؛ لأن ذلك اللفظ ؛ هو المتعارف عند العرب ، ويمكن الجمع بأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم تكلم بذلك لبيان الجواز ، وهو لا ينافي الكراهة التي أشعر بها ، قوله : لا أحب العقوق (١) .

هذا ؛ وقد اصطلح علماء الشرع على أن العقيقة هي : ذبح الشاة عن المولود يوم السابع من ولادته (٢) .

دليل مشروعيتها :

لقد ورد في كتب السنن كثير من الأحاديث التي تؤكد مشروعية العقيقة ، وتحثّ على القيام بهذه السنة العظيمة ، من بين ذلك :

ما رواه البخاري في صحيحه عن سلمان بن عمار الضّبّيّ ؛ قال : قال رسول اللّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : "مع الغلام عقيقة فأهريقوا عنه دماً ، وأميطوا عنه الأذى" .

وروى أصحاب السنن عن سمرة قال : قال رسول اللّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

(١) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار : للإمام الشوكاني : ٥/١٣٥ ، ط/المكتبة التوفيقية ، د.ت.

(٢) تربية الأولاد في الإسلام : للشيخ عبد الله ناصح علوان : ١/٨٨ ، الطبعة الثالثة المزيدة ، دار السلام بحلب ، سنة ١٤٠١هـ .

وَسَلَّم : "كل غلام رهينة بعقيقته ، تذبح عنه يوم سابعه ، ويسمى فيه ، ويحلق رأسه" .

وروى الإمام أحمد والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول اللّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم عن العقيقة ؛ فقال : "عن الغلام شاتان ، وعن الأنثى واحدة ، ولا يضرّكم ذكرانا كنّ أو إناثاً" .

وروى أبو داؤد عن بريدة الأسلمي ؛ قال : كنا في الجاهلية إذا ولد لأحدنا غلام ذبح شاة ، ولطّخ رأسه بدمها ، فلما جاء الله بالإسلام كنا نذبح شاة ، ونحلق رأسه ونلطخه بزعفران" .

آراء العلماء في مشروعية العقيقة :

الرأي الأول : وهو رأي جمهور الفقهاء ، وأكثر أهل العلم و الاجتهاد ، ومنهم الإمام مالك ، وأهل المدينة ، والإمام الشافعي وأصحابه ، والإمام أحمد ، وإسحاق ، وأبو ثور ، وجماعة كثير عددهم من أهل الفقه والعلم والاجتهاد ، وذهبوا إلى أنها سنة ومستحبة ، وحجتهم هذه الأحاديث التي سبق ذكرها (١) .

غير أن الشيخ السيد سابق يرى أنها سنة مؤكدة ، ولو كان الأب معسراً ، فعلها الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وفعلها أصحابه (٢) .

الرأي الثاني : و هو رأي الظاهرية ، و الإمام الحسن البصري ، و الليث بن سعد ،وغيرهم .. ورأوا أنها واجبة ، وحجتهم في ذلك ما رواه بريدة ، وإسحاق بن راهويه : "أن الناس يعرضون يوم القيامة على العقيقة ؛ كما يعرضون على الصلوات الخمس" ، واستدلوا كذلك بحديث الحسن عن سمرة عن النبي الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أنه قال : "كل غلام مرتهن

(١) انظر : المرجع السابق : ١/٨٩-٩٠ ، ونيل الأوطار : ٥/١٣٢ .

(٢) فقه السنة : الشيخ السيد سابق : ٣/٢٧٩، ط/دار الفكر ، د.ت.

بعقيقته" ، و وجه الاستدلال : أن الولد محبوس عن الشفاعة لوالديه حتى يعق عنه ، فهذا مما يؤيد الوجوب (١) .

الرأي الثالث : ويمثله الإمام أبو حنيفة ، ويرى أن العقيقة ليست فرضاً ولا سنةً ، وقيل : إنها عنده تطوع (٢) .

ونسب عدم مشروعية العقيقة إلى فقهاء الحنفية ، وذكر أن حجتهم في ذلك حديث رواه البيهقي ؛ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلّى اللّه عليه وسلّم ؛ سئل عن العقيقة ، فقال : "لا أحب العقوق" .

واستدلوا كذلك بحديث رواه الإمام أحمد من حديث أبي رافع رضي الله عنه ، أن الحسن بن علي أرادت أمه فاطمة رضي الله عنها أن تعق عنه بكبشين ، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه وسلّم : "لا تعقي ولكن احلقي رأسه ، فتصدقي بوزنه من الورق" - أي من الفضة - ، ثم ولد حسين ؛ فصنعت مثل ذلك .

يقول الشيخ عبد الله ناصح علوان معلقاً على هذا ، و مجيباً على هؤلاء : ولكن ظاهر الأحاديث التي سبق ذكرها تؤكد جانب السنية والاستحباب في العقيقة ، وهذا ما ذهب إليه جمهور الفقهاء ، وأكثر أهل العلم والاجتهاد .

وقد أجابوا عن الأحاديث التي استدل بها فقهاء الحنفية في إنكارهم مشروعية العقيقة بقولهم : إن الأحاديث التي استدلوا بها ليست بشئ ، ولا تصح دليلاً على إنكار مشروعية العقيقة ، أما حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلّى اللّه عليه وسلّم ، قال : "لا أحب العقوق" فسياق الحديث هكذا : سئل رسول الله صلّى اللّه عليه وسلّم عن العقيقة ؛ فقال : "لا

(١) راجع : نيل الأوطار: ١٣٢/٥ ، وتربية الأولاد في الإسلام : ٩٠/١ .
(٢) نيل الأوطار : ١٣٢/٥ .

أحب العقوق ، وكأنه كره الاسم - أي كره أن تسمى الذبيحة بالعقيقة ، فقالوا : يا رسول الله ! إنما نسألك عن أحدنا يولد له ولد ، فقال : "من أحب منكم أن ينسك عن ولده فليفعل ، عن الغلام شاتان مكافئتان ، و عن الجارية شاة" .

وأما استدلالهم بحديث أبي رافع : "لا تعقي ولكن احلقي رأسه .. "فإنه لا يدل على كراهية العقيقة ، لأنه صلّى اللّه عليه وسلّم أحب أن يتحمل عن ابنته فاطمة رضي الله عنها العقيقة ، فقال لها : "لاتعقي .." ، ولكونه عق صلّى اللّه عليه وسلّم عنهما ، وكفاها المؤنة ، ومما يؤكد أنه صلّى اللّه عليه وسلّم عقّ عنهما كثرة الأحاديث المروية في هذا الشأن نذكر منها ما يلي :

- روى أبو داؤد عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلّى اللّه عليه وسلّم عقّ عن الحسن والحسين كبشاً كبشاً .

- وذكر جرير بن حازم عن قتادة عن أنس أن النبي الكريم صلّى اللّه عليه وسلّم عق عن الحسن والحسين كبشين .

- وذكر يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة ؛ قالت : عق رسول الله صلّى اللّه عليه وسلّم عن الحسن والحسين يوم السابع (١) .

أمور تتعلق بالعقيقة :

١- يذبح عن الولد شاتان متقاربتان شبهاً وسناً ، وعن البنت شاة ، فعن أم كرز الكعبية ؛ قالت : سمعت رسول الله صلّى اللّه عليه وسلّم ؛ يقول : "عن الغلام شاتان متكافئتان ، وعن الجارية شاة" . [رواه الإمام أحمد والترمذي]

يقول الشيخ السيد سابق : ويجوز ذبح شاة واحدة عن الغلام لفعل الرسول الكريم صلّى اللّه عليه وسلّم ذلك مع الحسن و الحسين رضي الله عنهما كما ورد في حديث أبي داؤد في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن

(١) تربية الأولاد في الإسلام : ٩٠/١-٩٢ بتصرف يسير .

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم عق عن الحسن والحسين كبشا (١) .

٢- وقت الذبح يكون يوم السابع بعد الولادة إن تيسر ، وإلا ففي اليوم الرابع عشر ، وإلا ففي اليوم الواحد والعشرين من يوم ولادته ، فإن لم يتيسر ففي أي يوم من الأيام .

ففي حديث البيهقي : تذبح لسبع ، ولأربع عشر ، ولأحدى وعشرين (٢) .

٣- ينطبق على العقيقة ما ينطبق على الأضحية من شروط : من حيث عمرها وسلامتها من العيوب ، و من حيث الأكل والتصدق والإهداء منها ، غير أنها تختلف عن الأضحية في أمر يجب مراعاته ، و هو : ألا يكسر من عظم الذبيحة شئ ، سواء حين الذبح ، أو عند الأكل ، بل يقطع كل عظم من مفصله بلا كسر ؛ للحديث الذي رواه أبو داؤد عن جعفر بن محمد عن أبيه ، أن النبي الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال في العقيقة التي عقتها فاطمة عن الحسن والحسين : "أن ابعثوا إلى القابلة منها برجل ، وكلوا وأطعموا ، ولا تكسروا منها عظما" .

وروى ابن جريج عن عطاء كان يقول : "تقطع جدولاً ، ولا يكسر لها عظم" ، وروى ابن المنذر عن عطاء عن عائشة مثله (٣) .

---

(١) فقه السنة : ٢٧٩/٣ بتصرف . (٢) المرجع السابق : ٢٨٠/٣ .

(٣) ذكر العلماء أن الحكمة من عدم الكسر ؛ هي :

أ- إظهار شرف هذا الإطعام أو الإهداء ، في نفوس الفقراء والجيران ، وذلك في تقديم القطع التامة الكبيرة .

ب- التيمن والتفاؤل بسلامة أعضاء المولود وصحتها وقوتها ؛ لكون العقيقة جرت مجرى الفداء للمولود .

انظر : تربية الأولاد في الإسلام : ٩٦/١ وما بعدها .

٤- من عمل الجاهلية : تلطيخ رأس المولود بالدم ، فقد كانوا إذا ذبحوا العقيقة أخذوا منها صوفة ، واستقبلت بها أوداجها ، ثم توضع على يافوخ الصبي حتى يسيل عن رأسه مثل الخيط ، ثم يعلق ثم يغسل رأسه بعد ويحلق ، وقد كره الجمهور التدمية ، واستدلوا على ذلك بما أخرجه ابن حبان في صحيحه عن عائشة ؛ قالت : "كانوا في الجاهلية إذا عقوا عن الصبي خضبوا بطنه بدم العقيقة ؛ فإذا حلقوا رأس المولود وضعوها على رأسه ؛ فقال النبي الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : اجعلوا مكان الدم خلوقا ، زاد أبو الشيخ : "ونهى أن يمس رأس المولود بدم" (١) .

ما يستحب في العقيقة :

أ- يستحب أن يقول عند ذبحها : بسم الله ؛ اللّهم هذا منك واليك عقيقة فلان .

ب- ويستحب ذبحها عند طلوع الشمس .

ج- حلق رأس المولود قبل الذبح ، وقيل بعده لظاهر الحديث ، ويتصدق بوزنه ذهبا (٢) .

د- يستحب تلطيخ رأس الصبي بالزعفران أو غيره من الخلوق بعد الحلق .

هـ- يستحب تسمية المولود يوم السابع ؛ للحديث الذي رواه أصحاب السنن عن سمرة : أن النبي الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ؛ قال في العقيقة : "كل غلام مرتهن بعقيقته ، تذبح عنه يوم سابعه ، ويحلق رأسه ، ويسمى" .

---

(١) نيل الأوطار : ١٣٣/٥ بتصرف يسير .

(٢) الفقه الميسر : للشيخ أحمد عيسى عاشور : ص/٣٩١ ، ط/٤ ، دار المختار الإسلامي ، سنة ١٣٩٩هـ .

و- ويستحب طبخ العقيقة بحلو على الأصح تفاؤلاً بحلاوة أخلاق المولود ! والأفضل أن يبعث به مطبوخاً إلى الفقراء ، نص عليه الشافعي ، فلو دعاهم إليه فلا بأس .

ز- ويستحب أن يحنك المولود بشئ حلو والتمر أفضل لأنه صلّى اللّه عليه وسلّم كان يحنك أولاد الأنصار بالتمر .

ح- ويستحب أن يؤذن في أذنه اليمنى ، ويقيم في اليسرى ، وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما ، قال : قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم : "من ولد له مولود فأذن في أذنه اليمنى ، وأقام في أذنه اليسرى لم تضره أم الصبيان" [أخرجه ابن السني] وأمّ الصبيان ، هي التابعة من الجنّ ، وقيل مرض يأخذهم في الصغر .

والحكمة في الأذان : أنه أول قدومه إلى الدنيا ينخسه الشيطان فناسب أن يطرد عنه عند سماع الأذان والإقامة ، كما جاء في الحديث الصحيح ، وقد أذن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم في أذن الحسين حين ولدته فاطمة رضي الله عنهما (١) . [رواه أحمد والترمذي وصححه]

الحكمة التشريعية من العقيقة :

١- قربان يتقرب منها المولود إلى الله في أول لحظة يستنشق فيها نسائم الحياة .

٢- فدية يفدى بها المولود من المصائب والآفات ، كما فدى الله إسماعيل عليه السلام - بالذبح العظيم - .

٣- فكاك لرهان المولود في الشفاعة لوالديه .

٤- إظهار للفرح والسرور بإقامة شرائع الإسلام ، وبخروج نسمة مؤمنة ، يكاثر بها رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم الأمم يوم القيامة .

(١) المرجع السابق : ص/٣٩١-٣٩٢ .

٥- تمتين لروابط الألفة والمحبة بين أبناء المجتمع ؛ لاجتماعهم على موائد الطعام ابتهاجاً بقدوم المولود الجديد .

٦- إرفاد موارد التكافل الاجتماعي برفد جديد ، يحقق في الأمة مبادئ العدالة الاجتماعية ، ويمحو في المجتمع ظواهر الفقر والحرمان والفاقة .

إلى غير ذلك من هذه الفوائد والثمرات (١) .

مما سبق يتضح لنا : سمو العقيقة عن المولود ومكانتها العظيمة ؛ ولذا حثت الأحاديث على القيام بها ، وذهب جمهور الأئمة والفقهاء إلى أنها سنة مستحبة .

من هنا ؛ فإنني أناشد أولي الأمر من المسلمين بما ناشدهم به من قبل الشيخ عبد الله ناصح علوان قائلاً (٢) :

"فعلى الأب إن ولد له مولود وكان مستطيعاً قادراً - أن يحيى سنة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم ؛ حتى يحظى بالفضيلة والأجر عند الله سبحانه ، وحتى يزيد من معاني الألفة والمحبة والروابط الاجتماعية ، بين الأهل والأقرباء والجيران والأصدقاء جميعاً ، وذلك حينما يحضرون وليمة العقيقة ابتهاجاً بالمولود ، وفرحاً بقدومه ، وحتى يساهم كذلك في تحقيق التكافل الاجتماعي ، وذلك حينما يشرك في الانتفاع بالعقيقة بعض ذوي الحاجة والحرمان من الفقراء والمساكين .

فما أعظم الإسلام ، وما أسمى مبادئه التشريعية في زرع الألفة و المحبة في المجتمع ، و في بناء العدالة الاجتماعية في الطبقات الفقيرة والمحرومة !" .

* * *

(١) تربية الأولاد في الإسلام : ص/٩٩-١٠٠ .

(٢) تربية الأولاد في الإسلام : ص/٩٢ .

أصول المعاش الإسلامي
في ضوء الكتاب والسنة

[٣] بقلم : الأستاذ محمد أسجد القاسمي الندوي
(محاضر بدار العلوم الإسلامية بستي - الهند)

النهي عن البخل والاكتناز :

إن الإسلام – مع النهي عن سائر الطرق المحظورة لكسب المال – قد نهى عن اكتناز الثروة المكتسبة بالطرق المشروعة والبخل فيها ، لأن البخل والاكتناز عيب فاضح ؛ صرّح به القرآن الكريم : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * الذي جمع مالاً وعدَّده * يحسب أن ماله أخلده * كلاَّ لَيُنبَذَنَّ في الحُطَمَةِ ﴾ [سورة الهمزة/١-٤] ، وقال : ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة * ولا ينفقونها في سبيل الله * فبشّرهُم بعذابٍ أليم ﴾ [التوبة/٣٤] ، والكنز هو المال الذي لا تؤدي زكاته ، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُّوْقَ شُحَّ نفْسه * فأولئك هُمُ المُفْلِحُوْن ﴾ [سورة التغابن/١٦] ، وقال : ﴿ ولا يحسبنّ الذين يبخلُون بما آتاهم اللّه من فضله * هو خيراً لّهم * بل هو شرٌّ لّهم * سَيُطَوَّقُوْنَ ما بخلوا به يوم القيامة ﴾ [آل عمران/١٨٠] ، وقال : ﴿ ها أنتم هؤلآء تدعون * لتنفقوا في سبيل الله * فمنكم مَنْ يبخل * ومَنْ يبخل * فإنما يبخل عن نفسه * والله الغني * وأنتم الفُقراء ﴾ [محمد/٣٨] ، وقال : ﴿ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل * ومَنْ يتولَّ * فإنّ الله هو الغني الحميد ﴾ [الحديد/٢٤] ، و البخل ؛ هو عدم إنفاق ماله على عياله وفق قدرته وغنائه ، وكذا في أعمال الخير والدين ، وقال تعالى : ﴿ إنّ الإنسان خُلق هلوعاً * إذا مسّهُ الشرّ جزوعاً * وإذا مسّه الخير منوعاً * إلا المصلين ... ﴾ [المعارج/١٩-٢٢] ، وقال : ﴿ و تأكُلُون التراث أكْلاً لّمّاً * وتُحبُّون المال حُبّاً جمّاً ﴾ [الفجر/١٩-٢٠]، وقال : ﴿ وأما مَنْ بخل واستغنى * وكذّب بالحُسنى

فسنيسّرهُ للعُسرى * وما يُغني عنه ماله إذا تردّى ﴾ [الفجر/٨-١١] .

وإليكم بعض أحاديث الرسول الأعظم صلّى اللّهُ عليه وسلّم بصدد الموضوع ، قال صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم : اتقوا الظلم ؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشحّ ؛ فإن الشحّ أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم ، واستحلّوا محارمهم [مسلم]، والشح هو البخل مع الحرص ، وقيل : الشح الحرص على ما ليس عندك ، والبخل بما عندك ، وعن أنس أن النبي الكريم صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم كان يقول : اللهم إني أعوذ بك من البخل والكسل ، وأرذل العمر ، وعذاب القبر ، وفتنة المحيا والممات [مسلم] ، و قال صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم : ما من يوم غربت فيه شمسه إلا وبجنبتيها ملكان يناديان يسمعهما خلق الله كلهم إلا الثقلين ، اللهم أعط منفقاً خلفاً ، وأعط ممسكاً تلفاً . [تفسير ابن كثير : ج/٧ ، ص/٣٠٧]

وقال صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم : لا يدخل الجنة خبٌ ؛ ولا منّان ؛ ولا بخيل [الترمذي] ، والخبّ هو الخداع الخبيث ، وقال صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم : خصلتان لا تجتمعان في مؤمن ؛ البخل ، وسوء الخلق [الترمذي] ، وقال : السخي : قريب من الله ؛ قريب من الجنة ؛ قريب من الناس ؛ بعيد من النار، والبخيل : بعيد من الله ؛ بعيد من الجنة ؛ بعيد من الناس ، قريب من النار، ولجاهل سخيّ أحب إلى الله من عابد بخيل [الترمذي] .

وقال صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم : ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل له يوم القيامة صفائح من نار ؛ فيكوى بها جنبه ، وجبهته ، وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ؛ حتى يقضى بين العباد ، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة ، وإما إلى النار [مسلم] ، وقال صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم : من آتاه الله مالاً ؛ فلم يؤدّ زكاته مثّل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ، ثم يأخذ بلهزمته (يعني شدقيه) ، ثم يقول : أنا مالك أنا كنزك .. [البخاري].

٨- الحرص وحبّ المال حُباً جما :

إن حبّ المال حباً جماً ، والحرص والتفاخر على رخاء الدنيا وسعة الثروات وذخائرها ، ليؤدى كثيراً إلى الضلالة والهلاك ، وهذا ما ورد ذكره مراراً في الكتاب الحكيم ؛ فقال : ﴿ الهاكُمُ التكاثُرُ * حتى

زُرتُم المقابر * كلا سوف تعلمون * ثمّ كلا سوف تعلمون ﴾ [التكاثر/١-٤]، و قال : ﴿ اعلمُوا ! أنّما الحياة الدُنيا * لَعِبٌ * وَلَهْوٌ * وزينةٌ * وتفاخرٌ بَينكُم * وتكاثر في الأموال والأولاد ﴾ [الحديد/٢٠] ، والتكاثر ؛ هو السعي الحثيث لحصول الكثرة ، والتسابق في حصول الكثرة ، والتفاخر على حصول الكثرة ، وهذا ما يلهى الناس عن الغايات الأصيلة الإسلامية المبدئية .

وقال تعالى : ﴿ وَكَمْ أهلكْنا من قرية بطرت معيشتها * فتلك مساكنهم * لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً * وكُنّا نحنُ الوارثين ﴾ [القصص/٥٨] ، وقال : ﴿ وما أرسلنا في قرية من نذير * إلا قال مُترفُوها * إنّا بما أرسلتُم به كافرون * وقالوا : نحن أكثر أموالاً وأولاداً * وما نحنُ بمُعذّبين ﴾ [السبا/٣٤-٣٥] ، و قال رسول الله صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّم : لو كان لابن آدم ، واديان من مال لابتغى ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب ، وقال تنبوءاً : فوالله لا الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا ؛ كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم [متفق عليه] ، وقال صلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّم : لعن عبد الدينار ، ولعن عبد الدرهم [الترمذي] ، والعبد ؛ هو الذي يحبّ المال ، ويجمعه جمعاً يلهيه عن تأدية الواجبات ، وملازمة الحدود الشرعية ، وقد ورد في القرآن الكريم : ﴿ إن الإنسان لربه لكنود * وإنّه على ذلك لشهيد * وإنّه لحُبّ الخير لشديد ﴾ [العاديات/٥-٧] .

ومعلوم أن المال يدور حوله جميع حاجات البشر، ولذا أحلّ الإسلام كسبه واكتسابه ؛ بل قد أوجب كسبه قدر الضرورة ، إذن ليس جمع المال ، وحبّه قدر الضرورة حراماً مخطوراً، بل الحرام هو مجاوزة الحدود ، والغفلة عن السلوكيات في جمعه وحبّه ، ويمكن أن يقال : إن حبّ المال مذموم أصلاً ، أما جمعه قدر الحاجة ؛ فهو لازم ، وهذا كمثل ما يلزم على الإنسان البول و التغوط ، و قضاء الحاجة مع أنه لا يحب شيئاً منها ، فكذا المال حبّه مذموم مع لزوم جمعه قدر الضرورة ، قال صلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّم : إنّ اللّه يحبّ عبده المؤمن الفقير المتعفّف أبا العيال [ابن ماجة] ، وقال : شرّ ما في رجل شحّ هالع وجبن خالع [أبو داؤد] ، وقال صلّى

اللّه عَلَيْهِ وَسَلّم : اثنان يكرههما ابن آدم يكره الموت ، و الموت خير للمؤمن من الفتنة ، ويكره قلة المال ، و قلة المال أقلّ للحساب [مسند الإمام أحمد] .

٩- الإسراف والتبذير :

إن إضاعة الأموال بدون جدوى ، وفي غير مصرفها الصحيح ، والتنعم المادي المطغى ، ومحاولات النمو المادي ، والرقي الدنيوي ، ورفع مستوى المعاش ، وتخطّى الحدود الشرعية في كل ذلك لمن موجبات مقت الله وغضبه ، قال تعالى : ﴿ كُلُوْا واشْرَبُوا * ولا تُسرفُوا * إنّه لا يُحبّ المسرفين ﴾ [الأعراف/٣١] ، وقال : ﴿ ولا تبذر تبذيراً * إنّ المبذرين كانوا إخوان الشياطين * وكان الشيطان لربّه كفوراً ﴾ [بنو إسرائيل/٢٦-٢٧] .

الإسراف يحتوى على ثلاثة أجزاء : الأول : إنفاق المال ولو قليلاً في الأعمال المحظورة ، والثاني : مجاوزة حدّ الاعتدال في إنفاق المال في الطرق المشروعة إمّا بالإنفاق أكثر من وسعه و طاقته ومجهوده أو إنفاق ماله الزائد عن الضرورة على التنعم المادي ، والعيش الدنيوي ، والثالث : إنفاق المال في سبيل الله رياءً .

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : التبذير إنفاق المال في غير حقه ، ولا تبذير في عمل الخير ، وهذا قول الجمهور ، وقال أشهب عن مالك : التبذير هو أخذ المال من حقه ، و وضعه في غير حقه ، و هو الإسراف و هو حرام ، وقال الإمام القرطبي : من أنفق ماله في الشهوات زائداً على قدر الحاجات ، وعرّضه بذلك للنفاد ؛ فهو مبذر ، ومن أنفق ربح ماله في شهواته ، و حفظ الأصل أو الرقبة ؛ فليس بمبذر ، و من أنفق درهماً في حرام ؛ فهو مبذر ، و يحجر عليه في نفقته الدرهم في الحرام ، ولا يحجر عليه إن بذله في الشهوات إلا إذا خيف عليه النفاد . [الجامع لأحكام القرآن الكريم : ج/١٠ ، ص/٢٤٨]

و قال الحسن البصري : ليس في النفقة في سبيل الله سرف ، و قال إياس بن معاوية : ما جاوزت به أمر الله تعالى ؛ فهو سرف ، وقال غيره : السرف النفقة في معصية الله عزّوجل .

و قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : التبذير الإنفاق في غير حق ، و قال مجاهد : لو أنفق الإنسان ماله كله في الحق لم يكن مبذراً ، و لو

أنفق مدّا في غير حق كان مبذرا ، وقال قتادة : التبذير النفقة في معصية الله تعالى ، وفي غير الحق والفساد .

والطريق الأسلم لدى الإسلام ؛ هو الإنفاق على أهله وعياله ونفسه بغاية من الاعتدال والاتزان ، ولما أن لأهله وأقربائه حقاً في ماله ؛ فلا يبخل ولا يقتر ، ولكن لا يجوز له إنفاق الجميع لهم أيضاً ، بل الأصل هو الاقتصاد ، قال تعالى : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك * ولا تبسطها كل البسط * فتقعد ملوماً محسوراً ﴾ [الإسراء/٢٩] ، وقال : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا * ولم يقتروا * وكان بين ذلك قواماً ﴾ [الفرقان/٦٧]، وقال : ﴿ و ابْتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة * ولا تنس نصيبك من الدنيا * وأحسن كما أحسن الله إليك * ولا تبغ الفساد في الأرض ﴾ [القصص/٧٧] .

فاتضح أن عباد الله المخلصين يهتمون بالاعتدال ، ويتجنبون الإفراط والتفريط ، والإسراف والإقتار في إنفاق الأموال ، قال النحاس : من أنفق ماله في غير طاعة الله ؛ فهو الإسراف ، و من أمسك عن طاعة الله عزّوجل ؛ فهو الإقتار ، ومن أنفق في طاعة الله ؛ فهو القوام ، وقال ابن عباس رضي الله عنه : من أنفق مائة ألف في حق ؛ فليس بسرف ، ومن أنفق درهماً في غير حقه ؛ فهو سرف ، ومن منع من حق عليه ؛ فقد قتر ، وقد صرّح رسول الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّم : من فقه الرجل قصده في معيشته [مسند الإمام أحمد] ، وقال صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّم : ما عال من اقتصد [مسند الإمام أحمد] ، وما أحسن ما قال الشاعر :

ولا تغل في شئ من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميم

١٠- الطرق المشروعة لإنفاق المال :

بعد ما ينفق الإنسان ماله في حاجياته بغاية من الإتزان والاقتصاد بدون إسراف وإقتار يجب عليه أن ينفق من البقية الباقية على المستحقين الذين ذكرهم الله جلّ وعلا بقوله : ليس البرّ أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق * و المغرب * و لكن البر من آمن بالله * و اليوم الآخر * والملائكة * والكتاب * والنبيين * وآتى المال على حبّه ذوي القُربى واليتامى * و المساكين * و ابن السبيل * و السائلين * وفي الرقاب ﴾

[البقرة/١٧٧] ، قال رسول الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّم : أفضل الصدقة أن تصدق ، وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر [متفق عليه] ، و قال تعالى : ﴿ ويطعمون الطّعام على حُبّه مسكيناً و يتيماً وأسيراً * إنّما نُطعمكم لوجه الله * لا نُريد منكم جزاءاً و لا شكوراً ﴾ [الدهر/٨-٩] ، وقال : ﴿ و يسئلونك ماذا ينفقون * قُل : العفو ﴾ [البقرة/٢١٩]، والعفو ؛ هو الفضل ، وقيل : هو أفضل المال وأطيبه ، وقال الحسن : ذلك ألا يجهد مالك ، ثم تقعد تسأل الناس ، كما يتضح من حديث عن أبي هريرة ، قال : قال رجل : يا رسول الله ! عندي دينار، قال : أنفقه على نفسك ، قال : عندي آخر، قال : أنفقه على أهلك ، قال : عندي آخر ، قال : أنفقه على ولدك ، قال : عندي آخر ، قال : فأنت أبصر [تفسير ابن كثير : ج/١ ، ص/٤٥٤] .

وعن جابر رضي الله عنه : أن رسول الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّم ؛ قال لرجل : ابدأ بنفسك ؛ فتصدق عليها، فإن فضل شئ فلأهلك ، فإن فضل شئ عن أهلك فلذى قرابتك ، فإن فضل عن ذي قرابتك شئ ؛ فهكذا وهكذا [صحيح مسلم] ، وقال صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّم : خير الصدقة ما كان عن ظهر غنىً ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول [تفسير ابن كثير : ١/٤٥٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ ويسألونك ماذا يُنفقون * قُلْ : ما أنفقتم من خير * فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل * وما تفعلوا من خير * فإنّ الله به عليم ﴾ [البقرة/٢١٥] ، قال مقاتل بن حيان : هذه الآية في نفقة التطوع .

وقال تعالى : ﴿ لن تنالوا البرّ * حتى تُنفقُوا ممّا تُحبُّون * وما تُنفقوا من شئ * فإنّ الله به عليم ﴾ [آل عمران/٩٢] ، وقال : ﴿ واعبدوا الله * ولا تُشركُوا به شيئاً * وبالوالدين إحساناً * وبِذِيْ القُربى واليتامى والمساكين * والجار ذي القُربى (١) * والجار الجُنب (٢) * والصاحب

(١) الذي بينك وبينه قرابة ، وقيل : الجار المسلم ، وقيل : المرأة .
(٢) الذي ليس بينك وبينه قرابة ، وقيل : الجار اليهودي أو النصراني ، وقيل : الرفيق في السفر .

بالجنب (١) * و ابن السبيل * و ما ملكت أيمانكم * إنّ الله لا يُحبّ مَنْ كان مُختالاً فخوراً * الذين يبخلون * و يأمُرُون الناس بالبخل * و يكتُمُون ما آتاهم الله من فضله * واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً * والذين يُنفقون أموالهم رئاء الناس * ولا يؤمنون بالله ، ولا باليوم الآخر * ومَنْ يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً ﴾ [سورة النساء/٣٦-٣٨] .

وقال رسول الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّم : ما زال جبريل يوصى بالجار ؛ حتى ظننت أنه سيورثه [متفق عليه] ، و عن عائشة أنها سألت رسول الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّم ؛ فقالت : إن لي جارين ؛ فإلى أيهما أهدي ؟ قال : إلى أقربهما منك باباً [صحيح البخاري] ، وقال صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّم : الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذي الرحم صدقة وصلة ، وقال صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّم : ما أطعمت نفسك ؛ فهو لك صدقة ، وما أطعمت زوجتك ؛ فهو لك صدقة ، وما أطعمت خادمك ؛ فهو لك صدقة [سنن النسائي] .

وقال تعالى : ﴿ للفُقراء الذين أحصروا في سبيل الله * لا يستطيعون ضرباً في الأرض * يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف * تعرفهم بسيماهم * لا يسألون الناس إلحافاً * و ما تنفقوا من خير * فإن الله به عليم ﴾ [البقرة/٢٧٣] ، وهؤلآء الفقراء هم الذين أحصرهم الجهاد ، وقيل : هم أصحاب الصفّة ، وهم نحو من أربعمائة رجل من مهاجري قريش لم يكن لهم مساكن في المدينة ، ولا عشائر ؛ فكانوا في صفة المسجد يتعلمون القرآن الكريم بالليل ، ويرضخون النوى بالنهار ، وكانوا يخرجون في كل سرّية بعثها رسول الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّم ، فمن كان عنده فضل أتاهم به إذا أمسى [الكشاف للزمخشري : ج/١، ص/٣١٣] ، وقال رسول الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّم : ليس المسكين بهذا الطواف الذي ترده التمرة والتمرتان ، واللقمة واللقمتان ، والأكلة والأكلتان ، ولكن المسكين الذي لا يجد

(١) الصاحب بالجنب ؛ هو الرفيق في السفر ، وقيل : الرفيق في أمر حسن ، كتعلم وتصرف ، وصناعة ، وسفر ، وقيل : المنقطع إليك يرجو نفعك ورفدك .

غنىً يغنيه ، ولا يفطن له فيتصدق عليه ، ولا يسأل الناس شيئا [متفق عليه] .

وقال تعالى : ﴿ والذين في أموالهم حقٌّ مَّعلوم للسَّائل والمحروم ﴾ [المعارج/٢٤-٢٥] ، والمحروم هو الذي لا يبدى فقره وحاجته للناس ، ولا يسألهم شيئاً رغم فقره وإفلاسه ، والسائل ؛ هو الفقير الذي يسأل الناس ، قال صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّم : للسائل حق ، وإن جاء على فرس [سنن أبي داؤد] .

وقال تعالى : ﴿ والذين يبتغُون الكتاب ممّا ملكت أيمانكم * فكاتبوهم * إن علمتم فيهم خيراً * وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ﴾ [النور/٣٣] ، وقال رسول الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّم : ثلاثة حق على الله عونهم ، الناكح : يريد العفاف ، و المكاتب : يريد الأداء ، والغازي : في سبيل الله [الترمذي]..

و هناك كثير من الطرق المشروعة لا تسعنا إحاطتها ، واستقصاؤها في هذا الموضع ، وعلى كل ؛ فالإنفاق في سبيل الله لمن أساسيات الخير والفلاح ، والتكاسل فيه موجب للهلاك و البوار ، قال تعالى : ﴿ و أنفقوا في سبيل الله * ولا تلقوا بأيديكم إلى التّهلُكة * وأحسنُوا * إنّ الله يحب المُحسنين ﴾ [البقرة/١٩٥] ، وكتب الحافظ ابن كثير بصدد الآية ومضون الآية الأمر بالإنفاق في سبيل الله ، في سائر وجوه القربات ، و وجوه الطاعات ، وخاصة صرف الأموال في قتال الأعداء ، وبذلها فيما يقوى به المسلمون على عدوهم ، والإخبار عن ترك فعل ذلك بأنه هلاك ودمار لمن لزمه واعتاده [ج/١ ، ص/٤٠٦] .

[يتبع]

+ + +

دراساته وأبحاثه :

من أدباء الإسلام :

محمد عاكف أرصوى

بقلم : الدكتور غريب جمعة

من الأدباء فريق يولد في مجتمعه ؛ كما تولد النجوم من السماء ، فتكون كلماته نوراً يهدي الحائر ، وينير الطريق للسائر ، وشهباً للحق مرصودة ، تسرع إلى الباطل فتمحقه ؛ فإذا هو إلى انكسار وذلة وصغار .

هؤلآء "الأدباء النجوم" يعرفون للأدب رسالة سامية ، فهو لسان صدق للفضيلة والحق والخير ، وسنان حق على الرذيلة والباطل والشر، و هم يعيشون من أجل هذه الرسالة زاهدين في دنيا الناس راغبين إلى رب الناس .

وقد تراودهم الدنيا – بزخرفها وزينتها – عن أنفسهم فيصيحون في وجهها : معاذ الله هذه رسالتنا لا نرضى بها بدلاً ولا نبغى عنها حولاً .

ودونك غيرنا ممن يتمسحون بأعتابك لاعقين لترابك ، الواحد منهم : حوّل قلّب حيثما تتقلبين يتقلب ، فهو يلهث وراء جاه يتمناه أو مال يتشهاه ؛ أو ماخور يغشاه ، وكل يعمل على شاكلته ، فهم طلابك وأنت طلبتهم .

و من هؤلآء النجوم واحد طلع في أفق الأدب التركي ؛ أو قل : في أفق الأدب الإسلامي بمعنى أوسع .

فجاءت كلماته نوراً من النور ، تعبر عن ضمير المسلم اليقظ ، وضمائر المسلمين من حوله الذين يعتزون بإسلامهم ويستمسكون به ، وإن داهمهم الباطل بخيله وخيلائه وطاغوته وكبريائه ، ذلكم هو الأديب التركي الكبير المسلم قلباً وعقلاً ، ولساناً ، و وجداناً ، صاحب النشيد الوطني التركي : محمد عاكف أرصوى ، فهيأ بنا نتعرف على معالم من حياته (١) قبل أن نقرأ له فريدة من فرائده العصماء .

مولده ونشأته :

ولد يرحمه الله في شوال عام ١٢٩٠ من الهجرة النبوية ، الموافق عام ١٨٧٣ من الميلاد في حي السلطان محمد الناتج بمدينة استانبول ،

عاصمة الخلافة العثمانية لأبوين مسلمين ، فأبوه هو محمد طاهر آفندي ، الذي كان من المدرسين بجامع الفاتح الذي يعتبر مقر المؤسسات التعليمية في عهد الخلافة العثمانية ، وكان لقبه "تميز" أي نظيف نظر النظافة في ملبسه ومأكله ومشربه وجميع أحواله .

وأمه هي أمينة شريفة هانم كانت من عائلة متدينة قدمت من بخارى إلى توقاد ، ثم استانبول ، وسكنت في حي الفاتح .

تعليمه : بدأ تعليمه في مدرسة الأمير البخارى ؛ قرب جامع الفاتح ، وهو ابن أربع سنوات ، فدرس بها عامين ، ثم انتقل إلى المدرسة الابتدائية ؛ قرب دار التوقيت لجامع الفاتح ، ودرس بها ثلاث سنوات ، وكان أبوه يعلمه مبادئ اللغة العربية أيضاً .

ثم انتقل إلى المدرسة "الرُشدة المركزية" في الفاتح أيضاً ، و من الأساتذة الذين أثروا فيه تأثيراً كبيراً الأستاذ قدري آفندي لغزارة علمه وثقافته العالية في اللغة العربية والفارسية والفرنسية .

و في نفس الوقت لم ينقطع عن متابعة دروس أبيه في اللغة العربية بحيث ارتقى مستواه فوق مستوى أقرانه في جميع مراحل تعليمه ، وخاصة في اللغات الأربع : التركية – العربية – الفارسية – الفرنسية .

وأحب الأدب ؛ وخاصة الشعر منه ، وقرأ ديوان "ليلى ومجنون" للشاعر فضولي الذي عاش في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦) ، ثم انتقل بعد ذلك إلى المدرسة المُلكية ، ومنها إلى مدرسة البيطرة حيث تخرج فيها ، وكان ترتيبه الأول على زملائه .

(١) لا يسعنى إلا أن أتوجه بالشكر والعرفان إلى الإخوة الأتراك الأفاضل الذين ساعدوني في الحصول على معالم من حياة هذا الرجل أثناء انعقاد مؤتمر رابطة الأدب الإسلامي العالمية في استانبول في أغسطس عام ١٩٩٦م ، وهم :

١- الأستاذ حمدي أرسلان المدرس بكلية الإلهيات بجامعة مرمرة ، الذي نقل بعض المعلومات عن الأستاذ عمر طغرل صهر الأستاذ عاكف .

٢- الأديب الكبير الأستاذ علي نار (ونار بالتركية تعنى "الرمان" بالعربية" .

٣- الدكتور عثمان أوزتورك ، مستشار سعادة رئيس بلدية استانبول في ذلك الوقت

الوظائف التي تولاها في وطنه :

عين عقب تخرجه موظفاً لدى وزارة الزراعة بقسم الشئون البيطرية ، وقد أتاحت له تلك الوظيفة زيارة عدد كبير من المناطق في الأناضول في بلاد البلقان ، والجزيرة العربية ، واختلط بأهل تلك البلاد ، وتعرف عليهم وعايشهم .

وقد بدأت حياته الوظيفية في عام ١٨٩٣م ، وانتهت عام ١٩١٣م ، وكانت آخر وظيفة تولاها هي نيابة الشئون البيطرية ، وكان في تلك السنوات يلقي دروساً في الأدب في دار الفنون (جامعة استانبول) ، وكلية الزراعة في "حلْقه لي" في استانبول ، ثم استقال من وظيفته في دار الفنون ، و وزارة الزراعة ، وبقي على دروسه بكلية الزراعة .

ولم تتوقف زياراته لأجزاء الدولة العثمانية بعد أن ترك وزارته ، فزار مصر قبيل الحرب العالمية الأولى ، وزار الحجاز وعاد إلى استانبول .

وبعد عودته بشهور بدأت الحرب العالمية الأولى ؛ فذهب خلالها إلى برلين ، ثم إلى "نجد" بالجزيرة العربية ، ومر بالمدينة المنورة ، وقد ذكرهما في أشعاره : "مذكرات برلين" ، و "من صحراء نجد إلى المدينة" ، وذهب إلى بيروت في السنة الأخيرة من الحرب مع صديقه الأستاذ إسماعيل حقي بك ، ثم زار مكة المكرمة ، ونزل ضيفاً على أميرها آنذاك على حيدر باشا .

وفي هذه الفترة أنشأت المشيخة الإسلامية بأستانبول داراً أطلقت عليها "دار الحكمة الإسلامية" ، وتم تعيينه سكرتيراً لها .

جهاده أثناء الحرب العالمية الأولى ، وحرب الاستقلال الوطني:

بعد أن تم توقيع الهدنة بين الدولة العثمانية والدول الغربية عام ١٩١٨م دخلت جيوش الدول العربية إلى الجزء الباقي من أرض الخلافة الإسلامية في الأناضول ، فاحتلت روسيا الولايات الشرقية ، وبلغاريا ، واليونان الولايات الغربية ، وإيطاليا جزءاً من الولايات الجنوبية ، وفرنسا وبريطانيا بقية الولايات الجنوبية والجنوبية الشرقية ، واحتلت الجيوش المتحالة قلب الخلافة وعاصمتها استانبول !!

وهكذا مزقت دولة الخلافة شر ممزق ، وكانت تعتبر من الدول الكبرى ، بل أكبرها على الإطلاق .

وإزاء هذه النازلة الكبرى والمصيبة العظمى لم يقف الشعب التركي المسلم مكتوف الأيدي ، بل سارع إلى تشكيل بيليشيات (قوات) للدفاع عن الوطن في أنحاء مختلفة ، وهنا انتظم الأديب الكبير محمد عاكف في سلك تلك القوات تاركاً استانبول إلى مدينة (بالكيثير) في غرب البلاد ، وألقى خطباً عديدةً ، لإثارة حماسة الوطنيين وشحذ هممهم للوقوف في وجه الأعداء ومقاومتهم .

وتعددت الانتفاضات وتزايدت قوات المقاومة حتى عم الجهاد المسلح جميع البلاد التركية ، وكانت نقطة الانطلاق للحركة الوطنية ، هي مدينة (أنقرة) ؛ فانتقل إليها ، وانضم إلى المجاهدين هناك .

ويواصل جهاده من أجل الدين والوطن ، فيزور مدناً كثيرةً ، ويلقي محاضرات متعددة وخطباً بليغةً مثل خطبته في مدينة (قسطموني) التي كان لها صدىً كبير في نفوس الشعب ، حيث بين فيها أن الأعداء يريدون إذلال الشعب التركي المسلم والاستيلاء على جميع البلاد ، فلا يليق بهم أن يقبلوا مثل هذا الذل والهوان ، والحقارة والاحتلال ، وقد طبعت هذه الخطبة ، و وزعت على الشعب ، وعلى الجنود المسلمين .

النشيد الوطني التركي :

عاد محمد عاكف من مدينة (قسطموني) إلى (أنقرة) ، وتم انتخابه نائباً عن مدينة (بُرْدُورْ) في المجلس الوطني التركي عام ١٩٢٠م ، وشارك في جميع أعماله ، وفازت قصيدته في المسابقة المعلنة ، واختيرت نشيداً وطنياً لتركيا باتفاق جميع الأعضاء ، وتم منحه خمسمائة ليرة ذهبية مكافأة له ، وهو مبلغ ليس بالقليل ، ولكن أبت نفسه الكريمة أن تلتفت إليها ، وتنازل عنها للجيش الذي يجاهد الأعداء ، وهكذا يكون الأدباء أصحاب الرسالات ، ولله در القائل :

*وإذا كانت النفوس كباراً * تعبت في مرادها الأجسام*

ولم تضعب ثقته في أن النصر سيكون حليف المسلمين حتى في أصعب أيام حرب الاستقلال ، وحين اقتربت القوات اليونانية من أنقرة مقر المقاومة آنذاك بدأت الهجرة إلى المناطق الداخلية ، ولكنه لم يهاجر مع

المهاجرين ، وبقي في أنقرة ، بل إنه كتب بعض أشعاره في تلك الظروف الصعبة ، وهي : "بلبل" ، و "جواب نظيف" .

هجرته إلى مصر :

انتهت دورة البرلمان التركي الأول ، وتقدم الأستاذ محمد عاكف ، ومن يشاركونه إيمانه و فكره لدخول البرلمان التركي الثاني عام ١٩٢٣م ، فحيل بينهم و بين ذلك حيث سيطرت فلول التغريب والعداء للإسلام على مجريات الأمور داخل الدولة .

وتجرع الأستاذ عاكف ، ومن على شاكلته الحسرة تلو الحسرة على ما آل إليه حال وطنهم ، وكان قد تلقى دعوة في ذلك الوقت من الخديو عباس حلم الثاني خديو مصر ، فلبى هذه الدعوة وهاجر إلى مصر، وهو كسير القلب يشكو بثه وحزنه إلى الله .

وقضى الشتاء في مصر ، ثم عاد إلى استانبول في الصيف ، وهكذا عاش حياته الجديدة حيث كانت رحلة الشتاء إلى مصر ، ورحلة الصيف إلى استانبول .

وفي هذه الفترة كلفته الحكومة الجديدة برئاسة مصطفى كمال بترجمة معاني القرآن الكريم إلى التركية ، وعكف على هذا العمل سبع سنين دأباً في مدينة حلوان من أرباض القاهرة ، و لكنه حينما علم أن الحكومة قد اضمرت شراً ، فهي تنوى إحلال هذه الترجمة محل النص القرآني الكريم ، حينما علم بذلك لم يُظهر ترجمته ، وطلب اعفاءه من هذه المهمة ، و استقال منها حتى لا يبوء بإثمها ؛ لأنها تصطدم بعقيدته الإسلامية .

وهكذا يكون المسلم الحق ، لا يدفع دينه ثمناً لدنياه ، فهو يتشبث به حتى يأتيه اليقين ؛ لأن الدين في نظره يعلو ، ولا يُعلى عليه ، و يحكم ولا يُحكم عليه .

وفي عام ١٩٢٦م اختارته جامعة فؤاد الأول (القاهرة الآن) لتدريس مادة الأدب التركي في كلية الآداب ، فقام بعمله خير قيام ، وبعد بضع سنين بدأت رحلته المرضية ، فسافر إلى لبنان للاستجمام ، و منها إلى أنطاكية عام ١٩٣٦م ، ولكن حالته الصحية لم تتحسن حيث اشتدت

عليه وطأة المرض وألم البعد عن وطنه ، و وهن عظمه ورق جسمه ، فعاد إلى استانبول ، وأدخل المستشفى للعلاج ، ولكن آن للنجم أن يغيب من الأفق - وإن بقيت أشعة نوره - فاستأثرت به رحمة الله في اليوم السابع والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٩٣٦م ، و وسد جثمانه الثري في مقبرة الشهداء في منطقة أدرنهْ قابو بمدينة استانبول .

أعماله و آثاره :

أصدر مجموعة من الكتب نتضمن الشعر الذي شدى به ، وهي :

١- صفحات ؛ وهو اسم كتابه الأول .

٢- على منبر السليمانية . ٣- أصوات الحق .

٤- على منبر الفاتح . ٥- مذكرات . ٦- عاصم . ٧- ظلال .

وقد نشرت هذه الكتب باللغة العثمانية التركية التي كانت تكتب بالحروف العربية .

٨- تم تلحين بعض أشعاره ، مثل : النشيد الوطني التركي - بلبل - دعاء الجيش - الشهيد المجهول (شهداء جناق قلعة) .

٩- له مائة مقالة فكرية ، نشرت في مجلتي : "الصراط المستقيم" ، و "سبيل الرشاد" اللتين أصدرهما مع صديقه الأديب الأستاذ أشرف أديب .

١٠- له زهاء خمسين ترجمة بين طويلة وقصيرة ومواعظ عشر .

١١- ترجم مجموعة من الكتب إلى اللغة التركية ، مثل :

أ- "المرأة المسلمة" للعلامة محمد فريد وجدي ، وكان رداً على كتاب قاسم أمين : "المرأة الجديدة" .

ب- الدفاع عن الإسلام أمام هانوتو للشيخ محمد عبده .

ج- الجواب على الكنيسة الإنجليكانية للشيخ عبد العزيز جاويش .

د- كتاب : "أضرار المسكرات على البشرية" ، و كتاب : "العودة إلى الإسلام" ، وهما لسعيد حليم باشا الوزير العثماني .

١٢- أعد مشروعات مؤلفات أخرى ، ولم يتسع وقته لإنجازها مثل حجة الوداع - عاصم الثاني - صلاح الدين الأيوبي .

و هو - يرحمه الله - فيما يكتب وفي شعره خاصة داعية للإسلام ،

فالشعر عنده وسيلة من أجل غاية شريفة ، ولا غاية أشرف من الإسلام والدعوة إليه ، وهو يدعو إلى الوحدة الإسلامية ، وهي في نظره دليل الإخلاص للعالم الإسلامي لذلك طالب ببقاء الخلافة ، ونبذ دعاوى العصبية للقوميات ، وبعثها من مواتها ؛ لأن في ذلك مواتاً للوحدة الإسلامية .

وهو يعادى أسلوب التغريب ، وسلخ الشعب المسلم من دينه لذلك جاء شعره مثقلاً بهموم أمته ، وما نزل بها من كوارث ومحن ، وما كان بمعزل عنها ، بل اصطلى بنارها، وليت كتابه صفحات يجد من يكرم نفسه ، ويكرم القراء فيترجمه إلى لغات متعددة ، والذي نحب أن نلفت النظر إليه في نهاية هذه المعالم من حياة ذلك النجم الذي غاب رسمه وما غاب نوره ... أن العظمة التي حباه الله بها، إنما هي قبس من عظمة الإسلام الذي رضيه ديناً ؛ فتمسك به ؛ ودافع عنه ؛ ودعا إليه .

و إليك أخي القارئ فريدته العصماء التي تقدمت الإشارة إليها ، و التي عثرنا عليها بشق الأنفس ، فقد مضى على نشرها أكثر من نصف قرن !! ولكن الله كتب لها البقاء .

ذكرى الشهيد *

للمرحوم (إن شاء الله) الشاعر التركي محمد عاكف بك

عربها نثراً الأستاذ/علي يعقوب
نظمها شعراً الأستاذ/الصاوي شعلان

تأمل سفوح البيد (١) أو قمم الصخر
دم الشهداء الخالدين بها يجري
لقد ركعوا صرعي (٢) فلو لا ركوعهم
لما سجد العبّاد لله في الدهر
جباه كإشراق الصباح نقية قضت
و شعاع المجد من ضونها يسري (٣)
فكم غربت هذه الشموس لتفتدى
هلالك يا رباه في ساعة النصر

فيا من ثوى في موطن العز راضيا
ليدفع عن أوطانه غائل (٤) الأسر
خليق بأن يسعى الجدود و يهبطوا
إليك و قد قلدتهم شارة الفخر
ليهدوا أكاليل (٥) الفخار ويلثموا (٦)
جبينك في تاج الكرامة و الطهر
إلى راية التوحيد أقبلت منقذا
تحررها يوم الوغي (٧) بالدم الحر
سما في العلا أبطال بدر إلى الذي
سموت إليه من جلال و من قدر
فمن ذا الذي يبني لك القبر في الثرى
وحاشاك قدراً أن توسد في قبر
فلو أصبح التاريخ مثواك لم يسع
مزاياك و الآيات منها بلا حصر
عزائمك اللاتي بعثت لهيبها سراجا
يضيئ الكون عصراً إلى عصر
أجل وأسمى من صحائفه و لو
رسمنا بها آثار فضلك بالتبر (٨)
ألا في خلود المجد مثواك (٩) وحده
مقامك فوق الهام منه و في الصدر
لو أني بركن البيت جئت مشيدا
ضريحك و الأحجار من ساحة الحجر
و بالقبة الزرقاء أطوى نجومها
عليك رداءً ناصعاً بدل الستر
و جئت إلى مثواك أنسج فوقه
سحائب نيسان ندية بالعطر
و جئت بأستار المساء لفائفا
لجرح سما قدر اليواقيت في النحر

لما كنت قد أديت حقك في العلا
من المجد والتخليد والحمد والذكر
فأنت الذي لما قضيت إلى الوغي
تصون حمى الإسلام من غارة الكفر
بهرت (١٠) صلاح الدين من عزمك الذي
رأي أرسلان منه معجزة السحر
و أنت الذي لما طغى الكفر واعتدى
على راية الإسلام بالبغي و الجور
حطمت الدروع السابغات (١١) ولم يزل
على صدرك الوثاب درع من الصبر
أرى إسمك يعلو مثل روحك ناشراً
على الملأ الأعلى شذى (١٢) ليس في الزهر
لو أن عصور الدهر تحويك ساعة
لأوقدت في أجيالها ثورة الحشر
فما تسمع الآفاق و الأرض كلها
مقامك في سهل رحيب و لا وعر
شهيد العلا و ابن الشهيد تحية
و لا تلتمس في أرضنا موضع القبر
مكانك عند المصطفى في رحابه
وكوثره الصافي على رفرف خضر

* * *

(١) البيد : هي القلوات مفردها فلاه . (٢) صرعى : من صرع صرْعاً وصرعاً طرحه على الأرض .
(٣) يسرى : يسير ليلاً . (٤) غائل : الداهية ، الهلكة ، الشر والفساد .
(٥) أكاليل : تيجان . (٦) يلثموا : يقبلوا من لثم الوجه والفم قبّله .
(٧) الوغي : الحرب . (٨) التبر : ما كان من الذهب غير مضروب .
(٩) مثواك : منزلك . (١٠) بهرت : بهر الرجل فلاناً إذا غلبه وفضله .
(١١) سابغات : واسعة كاملة لتقي صاحبها . (١٢) شذى : قوة ذكاء الرائحة .

يحيى بن سعيد الأموي (ت/١٩٤هـ)
و كتابه : "المغازي"

[٣]

بقلم : الدكتور جمشيد أحمد الندوي
(قسم اللغة العربية بجامعة عليكرة)

أقوال الأئمة عنه :

كان الأموي محدثاً ثقةً ، يعترف العلماء الأفاضل بمكانته في الحديث وفضيلته فيه ، يقول الذهبي في مطلع ترجمته : الإمام المحدث الثقة النبيل (١)، وثقه ابن سعد ، و أبو داؤد ، وابن معين ، وابن عماد ، و الدارقطني ، وابن حبان ؛ فذكره في كتابه : "الثقات" (٢) وإليكم طرفاً من أقوال الأئمة الكبار :

قال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث (٣) ، وقال مرة : ثقة قليل الحديث (٤) ، و قال ابن معين : ثقة (٥) ، وقال مرة : هو من أهل الصدق

(١) سير أعلام النبلاء : ١٣٩/٩. (٢) كتاب الثقات : ٥٩٩/٧. (٣) الطبقات : ٣٣٩/٧.
(٤) نسب هذا القول ابن حجر إلى ابن سعد في تهذيب التهذيب : ٢١٤/١١ ، ونقل عنه الدكتور صبري في معجم شيوخ الإمام أحمد ، وبوران الفتاوى ، وكمال يوسف محققاً : "ذكر أسماء التابعين للدارقطني" : ٤٠٠/١ ، و ٢٧٧/٢ ، العلامة شبلي النعماني في سيرة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم : ٣٣/١، لعلهم وهموا ؛ فقالوا : قليل الحديث مكان كثير الحديث ؛ لأننا لم نجد قول ابن سعد : "قليل الحديث" في طبقاته (راجع للتفصيل : طبقات ابن سعد : ٣٩٨/٦ ، ٣٣٩/٧ .
(٥) تهذيب الكمال : ٣٢١/٣١، تاريخ بغداد : ١٣٤/١٤، سير أعلام النبلاء : ١٤٠/٩.

ليس به بأس (١)، وقال ابن شاهين : ثقة (٢) ، و قال ابن عماد الموصلى ، والدارقطني : ثقة (٣)، و قال الفسوى : هما ثقتان : الأب ؛ والابن (٤) ، وقال ابن حجر : ثبتان بدل ثقتان (٥) ، وقال علي بن المديني : جماعة من الأولاد أثبت عندنا من آبائهم منهم عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي ، وهذا سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي أثبت من أبيه (٦) ، و قال أبو داؤد : لا بأس به ثقة (٧) ، وقال النسائي : ليس به بأس (٨) ، وقال ابن حجر : صدوق يغرب من كبار التاسعة (٩) ، وقال ابن عماد الحنبلي عن ابن ناصر الدين : كان ثبتا حافظاً نبيلاً (١٠) ، وقال أبو داؤد عن أحمد ابن حنبل : ليس به بأس عنده عن الأعمش غرائب (١١) ، قال الذهبي : لا بأس به (١٢) قال الطرابيشي : صدوق (١٣) ، قال الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري : صدوق يغرب من كبار التاسعة (١٤) .

---

(١) تهذيب الكمال : ٣٢١/٣١ .

(٢) تاريخ ابن شاهين : ص/٢٠٠ ، تحقيق القاضي المباركفوري .

(٣) تهذيب الكمال : ٣٢١/٣١ ، وتاريخ بغداد : ١٤/ .

(٤) تاريخ الفسوى : ١٣٣/٣ .

(٥) تهذيب التهذيب : ٩٨/٤ .

(٦) تاريخ الإسلام للذهبي : (وفيات : ٢٤١-٢٤٩/٢٨٢ هامش) .

(٧-٨) تهذيب الكمال : ٣٢١/٣١ . (٩) التقريب : ص/٥٩٠ .

(١٠) شذرات الذهب : ٣٤١/١ .

(١١) تاريخ بغداد : ١٣٤/١٤ ، وسير أعلام النبلاء : ١٣٩/٩ .

(١٢) تاريخ الإسلام (وفيات : ١٩١-٢٠٠/٤٦٢) ، وسير أعلام النبلاء : ١٤٠/٦ .

(١٣) رواة محمد بن إسحاق : ص/٢١٦ .

(١٤) موسوعة رجال الكتب التسعة : ٢٠٨/٤ .

مع هذا التوثيق اختلف العلماء حول مكانته في الحديث ؛ فنقل المزي ؛ قول أبي بكر الأثرم عن أحمد بن حنبل : ما كنت أظن عنده هذا الحديث الكثير ؛ فإذا هم يزعمون أن عنده عن الأعمش حديثاً كثيراً ؛ و عن غيره ، وقد كتبنا عنه ؛ ولم يثبت أمر يحيى في الحديث ؛ كأنه يقول كان يصدق ، و ليس بصاحب حديث (١) ، وقال أبو بكر المروزي عن أحمد بن حنبل : لم يكن له حركة في الحديث (٢) ، وأورده العقيلي في الضعفاء (٣) ، واستنكر حديثه عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله : "لا يزال المسروق يتظنى حتى يكون أعظم إثماً من السارق" (٤) .

واتهم بعض الناس الإمام البخاري لروايته عن يحيى بن سعيد الأموي في صحيحه ؛ فأجابه ابن حجر ؛ وعيّن مكانه : "له في البخاري حديثه عن أبي بردة عن جده عن أبي موسى في أي المؤمنين أفضل ، وقد تابعه عليه أبو أسامة عند مسلم ، وحديثه عن الأعمش عن شقيق عن أبي مسعود كنا إذا أمرنا بالصدقة ، انطلق أحدنا إلى السوق ؛ فيحامل ، وهو عنده بمتابعة زائدة ، وشعبة عن الأعمش ، وحديثه عن ابن جريج عن الزهري عن عيسى بن طلحة عن عبد الله بن عمرو في التقديم و التأخير في عمل الحج ، وهو عنده بمتابعة عثمان بن الهيثم عن ابن جريج ، و حديثه عن مسعر عن الحكم عن ابن أبي ليلى عن كعب بن مجرة في كيفية الصلاة على النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم ، و قد تابعه وكيع عند مسلم ، فهذا جميع ماله عنده ، واحتج به الباقون" (٥) .

---

(١) تهذيب الكمال : ٣٢٠/٣١ ، وتهذيب التهذيب : ٢١٣/١١ .

(٢) تهذيب الكمال : ٣٢١/٣١ ، وتاريخ بغداد : ١٣٣/١٤ .

(٣) تهذيب التهذيب : ٢١٤/١١ ، وهدى الساري : ص/٤٥١ .

(٤-٥) هدى الساري : ص/٤٥١ .

وفاته :

اتفق المترجمون له أنه مات سنة أربع وتسعين ومائة ببغداد (١) ، يقول ابنه سعيد بن يحيى : مات أبي سنة أربع وتسعين و مائة في النصف من شعبان ، وبلغ ثمانين (٢) .

وشذ الحاجي خليفة وعمر رضا كحالة نقلاً عنه فقالا : توفي سنة ١٩١هـ (٣) ، وهو وهم وغلط كما عده الأستاذ الطرابيشي من أوهام الخليفة وكحالة عن الأموي (٤) .

كما انفق المترجمون أنه عاش ثمانين سنة ، وقال الذهبي : وهو في عشر الثمانين (٥) ؛ فيتضح منه أنه توفي قبل أن يبلغ إلى ثمانين سنة ، و لكن كم مدة بقيت لإتمام ثمانين لم يشر إليه الذهبي .

وشذ ابن الأثير ، وأبو حسان الزيادي ؛ فقالا : إنه عاش أربعاً وسبعين سنة (٦) .

أولاده :

لم نعرف عن أولاد الأموي إلا سعيد بن يحيى الأموي (٧) ، محدثاً

(١) طبقات ابن سعد : ٣٩٨/٦ ، ٣٣٩/٢ .

(٢) تهذيب الكمال للمزي : ج/٣١، ص/٣٢٣ ، وتاريخ بغداد للخطيب : ج/١٣، ص/١٣٥ ، و قال القاضي أطهر المباركفوري : توفي في النصف من شعبان أو شوال : ص/٢٣٩ .

(٣) كشف الظنون : ١٧٤٧/٢ ، ومعجم المؤلفين : ١٩٩/١٣ .

(٤) رواة محمد بن إسحاق : ص/٤٨٧ .

(٥) تاريخ الإسلام (وفيات : ١٩١-٢٠٠/٤٦٣) .

(٦) تهذيب الكمال : ٣٢٢/٣١ ، والكامل : ٣٧٠/٥ .

(٧) مصادر ترجمته : التاريخ الكبير : ج/٣، ص/٥٢١، رقم/١٧٤٥، والتاريخ >>>

ثقة أثبت من أبيه ، و ينسب إليه أيضا : "كتاب المغازي للأموي" على الأكثر ؛ فالمراد بالأموي عند بعض الناس هو سعيد بن يحيى ؛ لا أبوه يحيى بن سعيد (١) .

ترجمته : هو أبو عثمان سعيد بن يحيى سعيد بن أبان الأموي البغدادي ، لم نعرف عن مولده ، روى عن أبيه و أعمامه عبد الله ، و محمد ، وعبيد الله بنو سعيد ، وعبد الله بن المبارك ، وعيسى بن يونس ، وأبي القاسم بن أبي الزناد ، و أبي بكر بن عياش ، و عبد الرحيم بن سليمان ، و مروان بن معاوية ، وشجاع بن الوليد ، و وكيع ، ومسلم بن خالد الزنجي ، وعبد الله بن إدريس وجماعة .

وروى عنه محمد بن إسماعيل البخاري ، ومسلم بن الحجاج ، والجماعة سوى ابن ماجة ، وأبو زرعة الأزدي ، وأبو حاتم الرازي ، ويعقوب

>>> الصغير : ص/٢٣٧، والجرح والتعديل : ج/٤ ، ص/٧٤ ، رقم/٣١٤ ، والثقات لابن حبان : ج/٨ ، ص/٢٧٠ ، ورجال صحيح البخاري للكلاباذي : ج/١ ، ص/٢٩٧ ، ورجال صحيح مسلم لابن منجويه : ج/١ ، ص/٢٥١، والجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني : ج/١ ، ص/١٧١ ، وتاريخ بغداد : ج/٩ ، ص/٩٠-٩١ ، وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث و وفيات : ٢٣١-٢٥٠/٢٨٢) ، والأنساب للسمعاني : ج/١ ، ص/٣٤٩، والتبيين في أسماء القرشيين : ص/٣٩ ، وذكر أسماء التابعين ومن بعدهم للدارقطني : ج/١ ، ص/١٥٥ ، ج/٢ ، ص/٩٤ ، وتهذيب الكمال : ١٠٤/١١-١٠٦ ، و خلاصة تهذيب التهذيب : ص/١٤٤ ، والكاشف : ٢٩٨/١ ، و تهذيب التهذيب : ٩٧/٤-٩٨ ، و تقريب التهذيب : ٣٠٨/١ ، سبل الهدى والرشاد وللشامي : ٣٠٠/٣ هامش ، ابن كثير كمؤرخ للدكتور مسعود الرحمن الندوي : ص/٦٠ .

(١) سيأتي البحث عنه في الصفحات التالية .

ابن سفيان ، وإبراهيم الحربي ، وصالح جزرة ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل ، وعلي بن بيان المطرز ، وعبد الله بن محمد بن ناجية ، ومحمد بن محمد الباغندي ، وأحمد بن محمد بن المغلس ، وأبو القاسم البغوي ، ويحيى بن صاعد ، وابن بجير ، وبقى بن مخلد ، ومطين ، و عثمان بن خرزاد ، وزكريا السجزي ، والهيثم بن خلف ، وأبو يعلى الموصلى ، وأبو بكر الجزار ، وأحمد بن الحسن بن عبد الجبار وغيرهم ، وآخر من روى عنه القاضي المحاملي (١) .

كان ثقة محدثاً جليلاً ، روى عنه في الصحاح ، واعترف العلماء بفضله ومكانته في الحديث ؛ حتى قال ابن المديني أنه أثبت من أبيه (٢) ، وقال النسائي : ثقة (٣) ، و قال : أبو حاتم صدوق (٤) ، وقال الفسوى : هما ثقتان : الأب ؛ و الابن (٥) ، و قال النسفي : سألت أبا علي صالح ابن محمد عن الأموي ؛ فقال : صدوق إلا أنه يغلط (٦) ، و ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : ربما اخطأ (٧) .

وفاته ومدفنه : اتفق أكثر مترجميه على أنه توفي للنصف من ذي القعدة ، سنة تسع وأربعين ومائتين ، ودفن في مقبرة باب البردان (٨) .

---

(١) راجع لأساتذته وتلاميذه : تاريخ بغداد : ٩٠/٩ ، تهذيب الكمال : ٣٢٠/٣١، وتهذيب التهذيب : ٩٧/٤ .

(٢) تهذيب الكمال : ٣٢١/٣١ .

(٣) تاريخ بغداد : ٩٠/٩ .

(٤) تهذيب التهذيب : ٩٨/٤ .

(٥) كتاب المعرفة والتاريخ للفسوي : ١٣٣/٣ .

(٦) تهذيب التهذيب : ٩٨/٤ . (٧) كتاب الثقات : ٢٧٠/٨ .

(٨) تاريخ بغداد : ٩١/٩ .

وشذ أبو القاسم البغوي ؛ فقال : توفي سنة تسع وخمسين ومائتين ، وهو وهم وخطأ ؛ كما أوضح الخطيب وابن حجر (١) .

آثار يحيى بن سعيد الأموي :

كان العصر الأموي عصر التدوين والتأليف ، وقد ألفت الكتب في الفنون المختلفة ، منها علم السيرة النبوية ، ولم يزل في تطوره ؛ فظهرت أشهر كتب السيرة النبوية التي صارت مصادر للسيرة النبوية فيما بعد كالمغازي لعروة بن الزبير [م/٩٣هـ] ، والمغازي لموسى بن عقبة [م/١٤١هـ] ، والسيرة النبوية لابن إسحاق [م/١٥١هـ] وغيرها ، كان الناس يرجعون إلى هذه الكتب ، ويستفيدون منها ليعلموا عن الحياة النبوية المباركة .

وأشهر كتاب من ذلك كتب السيرة النبوية التي ألفت وصنفت قبل الأموي ؛ هو كتاب : "السيرة النبوية" لابن إسحاق ، قد طار صيته في ذلك العصر إلى الآفاق ، ولم يزل أشهر كتاب في فن السيرة النبوية حتى الآن ، وصار مرجعاً هاماً ، ومصدراً أساسياً في السيرة النبوية حتى لم يستغن أحد عن قرأته ، وقد درسه من أراد أن يعلم عن حياة النبي الكريم صلّى الله عليه وسلّم في ذلك العصر أو أراد أن يصنف كتاباً في هذا الفن المقدس ، يقول الإمام الشافعي : من أراد أن يتبحر في المغازي ؛ فهو عيال على ابن إسحاق (٢) .

كان من حظ الأموي أنه استفاد من ابن إسحاق و تتلمذ عليه ، كما روى ابنه ؛ قال أبي : "كان محمد بن سعيد أخي العوفي سمعوا المغازي سماعاً من ابن إسحاق ، فأما أنا ؛ وأبو يوسف القاضي ، وأصحاب لنا

---

(١) راجع للتفصيل : تاريخ بغداد : ٩١/٩ ، وتهذيب التهذيب : ٩٨/٤ .

(٢) تاريخ بغداد : ٢١٩/١ .

عرضاً" (١) .

ومع ذلك فإنه استفاد من علماء السيرة النبوية كهشام بن عروة [م/١٤٦هـ] ، وأبو عمير مجالد بن سعيد الكوفي [م/١٤٤هـ] ؛ فترك من آثاره في هذا الفن المقدس ، كتاب : "المغازي" ؛ الذي كان في الأصل نسخة للسيرة النبوية لابن إسحاق ، لكنه لم يكتف على نسخه ؛ بل أضاف فيه ، وزاد أشياء من عنده ؛ فصار كتاباً مستقلاً في "السيرة النبوية" (٢) ينسب إليه .

لا يبدو من دراسة حياة الأموي أنه متى وأين حصل المغازي عن ابن إسحاق ؟ وقد ثبت أن ابن إسحاق كتب السيرة النبوية ؛ نحو : ١٣٦هـ ببغداد (٣) فيظن أنه حصل المغازي في الكوفة أولاً ، ثم في بغداد حينما انتقل إليها في آخر عمره (٤) ، ولهذا أعد الطرابيشي نسخة الأموي من النسخ الكوفية البغدادية (٥) .

[يتبع]

(١) تهذيب الكمال : ٣٢٢/٣١ ، تاريخ بغداد : ١٣٣/١٤ .

(٢) الكاشف : ج/٢ ، ص/٣٦٢ ، العبر : ج/١ ، ص/٢٥٤ ، و شذرات الذهب : ج/١ ، ص/٣٤١ .

(٣) تاريخ تدوين السير و المغازي -للأستاذ القاضي أطهر المباركفوري : ص/٢١٠ .

(٤) نفس المصدر : ص/٢٣٩ .

(٥) رواة محمد بن إسحاق : ص/٢١٨ .

صور و أوضاع :

دراسة أسباب الإرهاب

و معالجتها العادلة تخفف الإرهاب

الأستاذ واضح رشيد الحسني الندوي

كتب صحفي معروف في مقال نشرته إحدى الصحف الهندية عن بنغلاديش إن الوضع في البلاد ، ليس بوضع الحرب مع دولة أخرى ، لكن الوضع الداخلي هو وضع الحرب ، لأن الشعب ينقسم فيما بينه ، انقساماً طائفياً ، ودينياً ، وسياسياً ، ويعاني تخلفاً اقتصادياً ، وثقافياً ، ويجرى الصراع العنيف بين الأحزاب السياسية المتعارضة ، و يتعدى هذا الصراع إلى صدام مباشر، وهجوم مسلح ، وهذا الصراع يستنزف طاقات الشعب ، ويوجه كل حزب سياسي اللوم إلى الآخر ، وقال : إن هذا الصراع السياسي يشبه الصراع الطائفي في الهند ، و أشار إلى الخلافات الواسعة العنيفة بين حزبي : حسينة واجد ، وخالدة ضياء ، و قال : رغم مرور أكثر من ثلاثين سنة على الحرب ؛ لا تزال السخونة والعداء ، والانقسام سائدا على الأذهان ، وذكر وضع الأقليات واستغلالها من قبل العناصر السياسية.

إن هذا الوضع الذي وصفه الكاتب بالنسبة لبنغلاديش ، ينطبق بشكل من الأشكال على البلدان الأخرى كالهند ، والبلدان المجاورة ، كباكستان و أفغانستان ، ونيبال ، وسريلانكا ، وقد ينطبق على سائر الدول الآسيوية ، والإفريقية الأخرى بقدر من الأقدار ، لأن هذه الصراعات لها أسس وبواعث وخلفيات ، ولم تستطع الحكومات الوطنية التي قامت في هذه البلدان بعد جلاء الاستعمار معالجة هذه البواعث ، بحل القضايا التي تعاني منها شعوبها ، ثم ظل الاستعمار الغربي يغذيها وينميها من الخارج ، لأنه رغم خروجه من هذه البلدان المستعمرة لم يزل يحتفظ بنفوذه ، وتأثيره على الحكومات التي حلت محله ، ويوسع نطاق

هذه الصراعات الإعلام والعناصر السياسية ويذيدها تفاقما .

توجد في المنطقة أنواع من الصراعات ، صراعات بين دولة ودولة ، على المستوى الحكومي للقضايا المعلقة ، وصراعات بين مختلف طبقات الشعب لبلد واحد على الأسس الدينية ، والعنصرية ، والطبقية ، وسائر هذه الصراعات تهدد الأمن والوئام ، وسلامة البلاد ، بالإضافة إلى عدم الاستقرار السياسي .

بالإضافة إلى هذه الصراعات المنظمة توجد في المنطقة منظمات عسكرية تمارس العنف ، وقبائل وحشية غير متحضرة ، وهي مسلّحة بأسلحة فتاكة ، فتعتدي على من لم يتفق معها .

إن الصراع بين التاميليين والسنهاليين في سريلانكا ، صراع قديم ، وقد أدى هذا الصراع إلى خسائر جسيمة في الأرواح والممتلكات ، ولم يحدث أي تخفيف في حدة التوتر بين الفريقين المتصارعين ، وينال الفريقان مساعدات عسكرية من الخارج ، ولا تنفذ مصادر مساعداتها ، فيستمر الصراع ، و تواجه البلاد مذابح في فترات مختلفة ، و كان للمسلمين نصيب كبير من هذه الخسائر ، لأنهم يتعرضون لهجمات مسلحة من التاميليين ، أو يقعون فريسة لمواجهة الفريقين ، وعلى حدود الهند الشرقية يستمر الصراع بين القبائل المختلفة ، و المنظمات المسلحة ، فتعتدى قبيلة على قبيلة أخرى ، وتنقل الصحف والجرائد أخبار هذه المذابح التي أحياناً ترتكب ضد القوات المسلحة ، و أحياناً ضد القبائل الأخرى ؛ و أصبح ذلك ظاهرة عامة .

وهناك منظمة أخرى تقوم بالعنف المسلح ، وهي منظمة النكسليين ، وقد ارتكبت هذه المنظمة اعتداءات مسلحة في بنغال الغربية سابقاً ، وبعد إجراءات قاسية من الحكومة انتقلت هذه العصابة إلى أماكن أخرى ، وتنقل الصحف أخبار عمليات هذه المنظمة من الجنوب ، حيث يستمر الصراع بين هذه المنظمة ؛ وقوات الأمن ، وأحياناً يتعرض لعدوانها أفراد الشعب .

والمنظمة الأخرى التي تقوم بأعمال العنف ، هي منظمة "ماؤ" التي تصاعدت عملياتها في السنين الأخيرة ، وهي تتمركز في نيبال ، وتهجم على الشرطة ، ورجال القوات المسلحة ، وقد ذهب ضحية هذه

الاعتداءات المسلحة مات من الناس ، و في منطقة "أسام" ؛ و "منيفور" بالهند حركات طائفية وقبلية تعتدي على من يتعارض معها .

أما الصراعات على الأسس الدينية ؛ فهي أيضاً تقع في هذه المنطقة ، فقد وقعت هجمات مسلحة على المسيحيين ، والمسلمين ، وعلى معابدهم من قبل المنظمات التي تعلن عدائها لهذه الأديان ، وتطالب بذوبانها في الديانة الهندية ، وتطالب بفرض قانون مدني واحد ، كما تقع الصراعات بين البوذيين والمسلمين في بورما ، منذ مدة طويلة .

و من بواعث العنف ؛ النشاط السياسي ، و قد ظهرت ملامح هذه العمليات الإرهابية منذ إعلان مواعيد الانتخابات ، و يعتمد كل حزب على الذين يمارسون العنف ضماناً لسلامة القادة أو الوقاية الذاتية فتحدث اشتباكات في أثناء الحملة الانتخابية ، وتؤدي هذه الحملة إلى خسائر في الأرواح في كل مناسبة تجرى فيها الانتخابات ، ويتهم كل حزب ؛ الحزب الآخر باتخاذ وسائل غير شرعية ، وتزوير الانتخابات .

وقد كان العنف سبيل المنظمات الإرهابية ، والقبلية ، والسياسية ، ولكن بدأ العنف يتسرب إلى الأحزاب الدينية في سائر هذه البلدان .

هددت منظمة "وشو هندو بريشد" ببدأ حملة في شهر مارس لبناء المعبد ، وإخراج مسيرة لبث الوعي في الأغلبية ، وهدد زعماءها الأقلية بأن يسلموا المساجد القديمة إلى الأغلبية احتراماً لمشاعرها ، وهدد بعض زعمائها بأنهم سيبدأون بناء المعبد مهما كلف ذلك من ثمن ، وهددوا بالنتائج الوخيمة إذا عارضت الأقلية مطالبتها ، ومن أجل ذلك قام بعض الفروع العسكرية لهذه المنظمة بتوزيع الأسلحة ، وتدريب المتطوعين على استخدامها ، ويعلنون نواياهم بالإخلال بالنظام لتحقيق غاياتهم .

أما ما يقع على الحدود بين الهند وباكستان ، فهو معروف فإن البلدين قد قاما بحشد قواتهما المسلحة على الحدود ، و يجرى إطلاق النار بين البلدين في مواقع مختلفة ما يهدد المنطقة بحرب ، ويجرى تبادل بيانات التهديد من قادة البلدين ، و على هذا الغرار تلجأ بعض الحركات الإسلامية أيضاً إلى هذه الوسيلة في باكستان وبنغلاديش كرد فعل لما تواجهه من معاكسات وتقليداً للحركات السياسية .

ففي باكستان أصبح العنف ظاهرة عامة ، فهناك صراعات مذهبية ، و قبلية ، وسياسية ، وتقع حوادث القتل الفردي والجماعي لوجود منظمات وجمعيات ، وعصابات متصارعة ، وتقع فيها صراعات مسلحة بين المهاجرين وغير المهاجرين ، والسنديين وغير السنديين ، وصراعات بين مختلف العناصر والأجناس ، والمنظمات السياسية ، وفي الصين يعم الصراع بين مختلف العناصر ، كما تمارس الحكومة الشيوعية وسائل العنف و القمع ضد من لا يتفق مع النظرية الاشتراكية أو يمارس الشعائر الدينية .

هذه أمثلة من منطقة واحدة ، وفي كل منطقة مشاكل متنوعة ، و تدل هذه الأمثلة على أن الإرهاب لا تخص بدين أو منطقة ، وإنما ينبع من منابع متعددة ، ويرجع إلى أسباب عديدة من سياسية ، واقتصادية ، وطائفية و فكرية ، وعنصرية ، و لها أصول تاريخية و ثقافية ولغوية ، ويوجد في كل مكان ، ولا تستثنى منه أوربا وأمريكا ، بل المتتبع لحوادث العنف يصل إلى نتيجة أن العنف مصدره التصلب في المطالبة بالحقوق أو المعاندة ، وعدم التسامح أو الشعور بالحرمان وخير طريق لتحفيف حدة التوتر هو بث الشعور الخلقي ، وتنمية روح التسامح ، ودراسة أسباب العنف ، واللجوء إلى القوة ، لحل المشاكل ، دراسة واقعية بدون تحزب أو عصبية وحل المشاكل .

إن الحرب العشوائية ضد الإرهاب التي تجري اليوم تزيد الوضع تفاقماً، ولا تخفف الإرهاب ، لأن هذه الحرب تغفل منابع الإرهاب الحقيقية ، وأسبابها وتركز على نقطة واحدة ، وعنصر واحد .

إن الطرق التي تختارها الحكومات عادة في هذا العصر ، لقمع ما تسميه بالإرهاب هي اتخاذ تدابير قاسية ضد من تعتبره من المسئولين عنه ، وهذه التدابير تزيد السخط ، والامتعاض ، وتوسع فجوة الخلاف بين الفريقين ، وتؤدي إلى ردود الفعل ، وقد اختارت أمريكا هذا الطريق على الصعيد العالمي ، فهي تهدد اليوم كل من يعارض سياستها ، أو لا يخضع لأوامرها ، وبذلك نتوسع دائرة عملياتها ، وإذا استمر هذا التوسع ؛ فسيصبح العالم كله هدفاً لها ، وينتشر الامتعاض والتذمر في العالم كله ، وتفقد أمريكا أصدقائها .

أخبار اجتماعية وثقافية :

صاحب السمو الشيخ

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي/حاكم الشارقة

يفوز بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام

قلم التحرير

منحت جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام للعام ٢٠٠٢م لصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي ؛ عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة .

أعلن ذلك الأمير سلطان بن عبد العزيز ؛ النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ؛ وزير الدفاع والطيران ؛ والمفتش العام في المملكة العربية السعودية ؛ رئيس لجنة اختيار الجائزة في مؤتمر صحافي عقده في مؤسسة فيصل الخيرية في الرياض .

وذكر الأمير سلطان بن عبد العزيز أن اللجنة قررت منح جائزة هذا العام لصاحب السمو حاكم الشارقة : "تقديراً لجهوده في خدمة الإسلام داخل وخارج بلاده" .

يذكر أن صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي ؛ عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة ؛ قد حصل على الدكتوراه في فلسفة التاريخ عام ١٩٨٥م من جامعة "اكستر" ، و كذلك الدكتوراه في الجغرافيا السياسية عام ١٩٩٩م من جامعة "دور هام" في المملكة المتحدة ؛ كما حصل سموه على عدد من شهادات الدكتوراه الفخرية الأولى من جامعة "اكستر" في الآداب عام ١٩٨٥م ؛ أما الثانية فمن "جامعة الخرطوم" في الحقوق عام ١٩٨٦م ، والثالثة في التربية من الجامعة الإسلامية العالمية في مملكة ماليزيا عام ٢٠٠٠م ، و أخيراً الدكتوراه الفخرية في الآداب والعلوم الإنسانية من جامعة "ادنبرا" في "اسكتلندا" عام ٢٠٠١م .

وقد حصل سموه على العديد من الجوائز والشهادات التقديرية والشرفية من العديد من الجامعات ؛ والمعاهد ؛ والمؤسسات الثقافية ، من أبرزها جائزة حماية التراث الإسلامي ، والتي قدمها معهد الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية في "اسطنبول" ؛ التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي .

ولصاحب السمو حاكم الشارقة العديد من الكتب والمؤلفات العلمية والأدبية والتاريخية تجاوزت السبعة عشر إصداراً ، أبرزها "الخليج في الخرائط التاريخية" ، وهو إصدار من جزأين و"خرافة القرصنة العربية في الخليج" ، وكذلك "الوثائق العربية في مراكز الأرشيف الفرنسي" ، وكتاب سموه : "تقسيم الإمبراطورية العمانية" ، وكتاب : "الاحتلال البريطاني لعدن" وغيرها من الإصدارات العلمية التي أثرى بها سموه المكتبات ، ومراكز البحوث العربية والعالمية اضافة لعدد من الإصدارات الأدبية والروائية ، والمسرحيات كرواية "الأمير الثائر"، ورواية "الشيخ الأبيض" ، ومسرحيات "عودة هولاكو" ، و "القضية"، و"الواقع صورة طبق الأصل".

وتقدر القيمة الإجمالية لجائزة الملك فيصل العالمية في فروعها الخمسة التي تتناول خدمة الإسلام ، والدراسات الإسلامية ، والأدب العربي ، والطب والعلوم ؛ بثلاثة ملايين و٧٥٠/ألف ريال سعودي (مليون دولار) توزع بواقع ٢٠٠/ألف دولار للفائز أو الفائزين بها في كل فرع ؛ إضافة إلى ميدالية ذهبية ، وشهادة براءة لكل فائز .

وقد تأسست جائزة الملك فيصل العالمية التي تعقد بصفة سنوية منذ عام ١٩٧٧م ، وعقدت أول دورة لها في عام ١٩٧٩م لتغطي مجالات خدمة الإسلام ، والدراسات الإسلامية ، والأدب العربي ، وفي عام ١٩٨١م أضاف مجلس أمناء الجائزة : جائزة الطب ، ثم في عام ١٩٨٢م أضاف المجلس جائزة العلوم .

وفاز بالجائزة عدد من الأشخاص الذين نالوا جائزة نوبل في وقت لاحق من حصولهم على جائزة الملك فيصل العالمية .

* * *

حوار صحفي مع صاحب السمو الملكي
الأمير نائف بن عبد العزيز
وزير الداخلية للمملكة العزيزة

مترجم من الإنجليزية : بقلم : الأستاذ إقبال أحمد الندوي الغازيفوري

قد تم حوار صحفي مع وزير الداخلية للملكة العربية السعودية ؛ صاحب السمو الملكي نائف بن عبد العزيز ، و رد صاحب سموه على أسئلة وجهت إليه بشأن الهجوم الإرهابي على الولايات المتحدة الأمريكية في ١١/من سيتمبر للعام الماضي ، فتعميماً للنفع نلخص الحوار وننشره في المجلة .

أكد صاحب السمو المكي في حواره على أن الإسلام هو دين تسامح ومداراة يحب الأمن والسلام ، ويسعى لذلك ، وإن مسلماً صادقاً يدين بدين الإسلام لا يرتكب أعمال العنف والإرهاب ؛ مثلما وقع في ١١/سيتمبر في الولايات المتحدة الأمريكية ، وعلى سبيل الفرض إذا اقترف أحد من المسلمين ؛ مثل هذه الجريمة الشنعاء ، فلابد أنه كان قد مربعملية غسل الدماغ ، فلا غرو إذا كان المتهمون بهذه الجريمة أن يكونوا تحت ضغط جسماني وعقلي .

عدم شهادة مقنعة :

وردا على سؤال وجه إليه بأنه كيف نعلق على أن ١٥/شخصاً من مجموع ١٩/شخصاً كانوا على متن الطائرتين المغيرتين على البرجين في "نيويورك" ؛ و "بنتاجن" في "واشنطن" ؛ هم السعوديون ، قال صاحب السمو الملكي : لا يمكن أحداً أن ينكر الحقيقة ، وعلى الرغم من ذلك

لا نتصور أن السعوديين يساهمون في مثل هذه العملية ، و لم يثبت حتى الآن أنهم هم الذين قاموا بمثل هذه الأعمال .

التعاون المشترك :

وتعليقا على هذا السؤال بأن المملكة العربية السعودية لا تقوم باجراء مقنع ضد الإرهاب ، أجاب بأننا نحتاج إلى ثبوت كاف مقنع ، لكي نقوى لمناضلة الإرهاب .

ورداً على هذا السؤال بأن محمد عطا قد وجد عنده رقية ، وذلك يدل على أنه ساهم في هذه العملية خاضعاً لأسباب دينية ، قال صاحب السمو الملكي نائف : إن كل مسلم يحمل عنده مثل هذه الرقى يتعبد بها، ويتوسل إلى الله تعالى عن طريقها ، وخاصة قبل ذهابه إلى متن طائرة أو سفينة ، وليست أمثال هذه التمائم والرقى نادرة وغريبة في المجتمع المسلم ، كما أنكم إذا ذهبتم إلى متن طائرة سعودية تسمعون قبل طيرانها ، مثل هذا الدعاء : اللهم إني أسئلك رحمتك وسلامتك لنفسي ولأقاربي .

وفي الإجابة على السؤال الذي جاء فيه بأن محمد عطا كان يحمل لديه ورقتين : إحداهما : كانت تشتمل على الرقية الدينية ، وأخراهما : كانت تشتمل على خطة العمل ، قال صاحب السمو نائف : إن محمد عطا ؛ مصري الجنسية ، ولا صلة له بالمملكة العربية السعودية ، و وجود مثل هذه الأوراق عند أحد من الناس لا يعني حتمياً أنه وراء هذه الكارثة .

غسل الدماغ :

وقال صاحب السمو الملكي المستر نائف : إن الذين قاموا بهذه العملية كانوا مراهقين ، إنهم يمكنهم أن يتأثروا بشئ من الأشياء بسهولة ؛ لأنهم لا يفرقون بين الخير والشر ، وقال أيضاً : انظروا ماذا يفعل شيرون ؟ إنه يقتل الناس في فلسطين بدون رحمة وهوادة ، وتصل الطائرات والقنابل من أمريكا إلى إسرائيل تباعاً ، وتدمر بيوت المواطنين الفلسطينيين ، وقال عن أسامة بن لادن : إنه ليس برجل مثقف ومؤهل عقلياً إلى حد أن يؤثر

في الناس ، وينفذ في أعماق قلوبهم ، ولكنه رجل ذو مال جم ، ويسكن في بلد فقير حيث يعيش فقراء الناس ، و يمتثلون بأوامر الأغنياء ، و يكونون بحاجة إلى المال ، ويعلم كل منا أن المال كيف يؤثر في الناس ؟ و وسائل الإعلام الغربي يثير القضية ، ويقوم بإثارة الضجة والصيحة ضدها وضد الإسلام والمسلمين .

المتهم الوحيد :

وقال صاحب السمو الملكي : إن نائب أسامة بن لادن ؛ المدعو/أيمن الضواهري يمكن أن يكون هو المتهم الوحيد ؛ لأن المصريين يقولون : إنه كان مسئولاً وحيداً عن التدريب لمنظمة القاعدة ، وأضاف قائلاً : إن الضواهري طبيب من الأطباء هو شاطر جداً في التأثير ، وغسل أدمغة الشباب أكثر من المهندس ابن لادن ، كما قال : إنه لا يعرف شخصياً هذين المجرمين ، ولكنه يؤيد ما يقوله التاريخ المصري عن الضواهري .

وقال : إن المبالغ الخطيرة التي يتبرع به السعوديون تصرف في بناء المساجد والمدارس في العالم كله ، إنهم يعطونها للمسلمين الفقراء ، ولا ينفقون أموالهم لمساعدة الجرائم الإرهابية .

ولما سأله الصحفيون أن الأمريكان قد قدموا قائمة أسماء لـ ١٩٠٠/منظمة تحصل على المساعدة عن طريق المنظمات الإرهابية ، بالإضافة إلى المنظمات السعودية ، قال وزير الداخلية السعودي : نعم ؛ يمكن أن تصرف بعض الأموال بصورة غير مشروعة ، وأكد على أن السعوديين يحتاطون في صرف المبالغ التي تعطى للأمور الخيرية ، ويعلم الغرب أنه لا يستطيع أحد أن يفرض الحظر على صرف الأموال بصورة غير مشروعة ، وكم من المال يصرف في الدول الغربية في الأعمال الشنيعة ؟ وتصرف بلايين من دولار أمريكي في تجارة الأسلحة و المخدرات ، على كل حال ؛ فإذا كان رجل مسلم يسيئ في صرف الأموال ؛ فالغرب أيضاً يفعل ذلك.

التضامن الدولي :

وقال : إن إسرائيل ورئيس وزرائها إرهابيان يقومان بعمل الإرهاب ضد مسلمي فلسطين ، و هذا الأمر واضح مثل وضوح الشمس بالنهار ، و حينما سئل عما إذا كان أسامة بن لادن ، وأعضاء منظمته "القاعدة" يزورون المملكة العربية السعودية لأداء الحج ؛ فماذا تفعل الحكومة ، وماذا يحدث ؟ قال صاحب السمو : كل من يجيئ لأداء الحج إلى السعودية ، فإنه صديق لا عدو ، وقال أيضاً : إن هذا السؤال غير ضروري ؛ فإن أسامة بن لادن لا يجد ملجأ في المملكة السعودية .

و وجه إليه سؤال بأن أصحاب المخابرات الغربية وجدوا في عاصمة أفغانستان كابول كمية كبيرة من الأسلحة التي كانت أرسلت إلى منظمة "القاعدة" من مؤسسة الحرمين ، فقال : إن مؤسسة الحرمين مؤسسة خيرية ، ومن أهدافها إعانة المحتاجين والعالة بينما يساعد الغرب إسرائيل في تدمير الفلسطينيين .

وقال مشيراً إلى قول المؤرخ الأمريكي سموئيل هوتينغتن عسى أن تقع الحرب بين ثقافتي الإسلام والمسيحية ، قال : هذا ظن فاسد ؛ لأنه ليس هناك نزاع بين المسلمين والمسيحيين ، وقال : يقول بعض الناس في الغرب : إن الرأسمالية غلبت على الاشتراكية ، والآن الإسلام هو العدو الجديد ، إني أرفض هذا الرأي كل الرفض ، فإن الإسلام هو دين تسامح وحب للأمن و السلامة و الإنسانية ، وقال : إن الصلات بين المسلمين والمسيحيين ازدادت في الأيام الحالية ، مع أن إسرائيل يحصل على المساعدة و التعاون من الغرب ، و لكن صلاتنا مع الغرب لا تتأثر بذلك ، وستكون حسنة طيبة ، ولا نريد أن نقوم بالمحاربة ضد الغرب .

* * *

إلى رحمة الله تعالى

الكاتب و المفكر الإسلامي أنور الجندي
في ذمة الله تعالى

قلم التحرير (س. أ.)

أفادت الأنباء الواردة من القاهرة بوفاة الكاتب الإسلامي و المفكر الجليل الأستاذ أنور الجندي في القاهرة في الخامس عشر من شهر ذي القعدة ١٤٢٢هـ ٢٨/١/٢٠٠٢م ، و ذلك عن عمر يناهز ٨٣ عاماً ، فإنا لله و إنا إليه راجعون .

لقد شغل الفقيد الغالي حياته كلها بالكتابة و التأليف و التحقيق و الدراسة حول قضايا مهمة من العلم و الأدب و الدين . إنه كرّس جميع مجهوداته في خدمة الفكر الإسلامي و تنقيته من ملابسات الفكر المادي الغربي ، و وضع جميع إمكانياته في الدفاع عن قضايا الأمة ، و عرض رسالة الإسلام و حضارته أمام العالم ، مع تزييف القيم الحضارية الغربية و تفنيد مزاعم الماديين الذين حاولوا بفلسفاتهم المادية و أفكارهم الباطلة إسدال الستار على وجه رسالة الإسلام الحية النقية الواضحة الخالدة و المنسجمة مع طبيعة الإنسان في كل زمان و مكان ، إنه قام بإبطال هذه المزاعم و الكشف عن دسائس المستشرقين المشوهين حقيقة الإسلام الناصعة ، فاستطاع بذلك أن يؤسس مكتبة إسلامية مستقلة بكتبه و مؤلفاته و كتاباته و محاضراته ، و استطاع أن يثري المكتبة الإسلامية على سعتها ، و يزيد إليها زيادة قيمة .

لقد كانت علاقته بسماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ـ رحمه الله تعالى ـ و مؤلفاته و كتبه وطيدة مخلصة ، كما أنه كان يحبُّ ندوة العلماء و إصداراتها في مجال العلم و الأدب و الصحافة الإسلامية فكان يكتب في مجلة البعث الإسلامي ، و يزودها بأفكاره القيمة .

و من أهم مؤلفاته القيمة ثلاث موسوعات مهمة ، ١- قضية الإسلام، في خمسين جزءاً ، ٢- موسوعة المناهج ، في عشرة أجزاء ، ٣- في دائرة الضوء ، في خمسين جزءاً .

رحمه الله رحمة واسعة و تغمّده بالمغفرة ، و جزاه أحسن الجزاء على ما قدّمه من تراث علمي ضخم و خدمات جليلة في مجال العلم و المعرفة .

و فيما يلي نص التعزية الذي نعت به المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة ـ ايسسكو ـ الأستاذ أنور الجندي إلى العالم الإسلامي :

" الكاتب و المفكر الإسلامي الأستاذ أنور الجندي الذي وافاه الأجل في القاهرة عن سن تناهز ٨٣ عاماً عاش خلالها حياة حافلة بالعمل الفكري و الثقافي في سبيل نشر الفكر الإسلامي و التعريف بأعلام الثقافة العربية الإسلامية و تصحيح المفاهيم و الرد على الشبهات التي تمس حقائق الإسلام و مبادئ شريعته و مفاهيمه الفكرية و مضامينه الثقافية و رسالته الحضارية .

و قال في بيان وزعته المنظمة و تلقت صفحة „ العالم الإسلامي „ نسخة منه ، و منها تلقت المجلة بكل شكر و تقدير: " لقد خدم الكاتب و المفكر أنور الجندي الفكر الإسلامي المعاصر و الثقافة العربية الإسلامية و تاريخ الأدب العربي و اللغة العربية خدمات جلى بالغة التميز بحيث كان مدرسة في التأليف و البحث و الاهتمام بالدفاع عن الفكر الإسلامي بمنهج رشيد و بأسلوب حكيم يتسمان بالاعتدال و الوسطية .

و زاد البيان : لقد أفاد الكاتب و المفكر أنور الجندي المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة بخبراته الغنية إذ شارك في إحدى الندوات الثقافية التي عقدتها المنظمة في الرباط في مرحلة الإعداد للاستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي ، كما شارك في ندوة نظمتها الايسسكو في مدينة أفران بالمملكة المغربية حول تصحيح ما نشر في الموسوعة الإسلامية الأوروبية الصادرة عن دار بريل بهولندا من تحريفات و مغالطات عن الإسلام .

و المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة إذ تنعى هذا المفكر العالم إلى الأمة الإسلامية تسجل له باعتزاز مواقفه في الدفاع عن القيم الإسلامية و الثقافة العربية الإسلامية أمام تيارات التغريب و الغزو الفكري و التبعية الثقافية الأجنبية التي تهدد الهوية الحضارية و الذاتية الثقافية للمجتمعات الإسلامية ، و تشهد له المنظمة بأنه كان رائداً في هذا المجال بين أبناء جيله بما كان له من فضل السبق في التصدي طوال النصف الثاني من القرن الماضي للحملات الفكرية و الثقافية المغرضة التي قام بها خصوم الإسلام على اختلاف مشاربهم و اتجاهاتهم بسماحة فكره و اعتدال منهجه و بعقله المتفتح و بإيمانه العميق باستقلالية الفكر الإسلامي و بخصوصيات الثقافة العربية الإسلامية ، و بقيم الحوار بين الثقافات و الحضارات في إطار الاحترام المتبادل " .

رحيل الشاب الصالح الأخ محمد طلحة الندوي

فوجئت أسرة دار العلوم لندوة العلماء بوفاة الأخ العزيز الشاب الصالح محمد طلحة الندوي في حادث اصطدام مفاجئ في اليوم الأول من شهر فبراير ٢٠٠٢م الموافق ١٧/ ١١/ ١٤٢٢هـ ، فإنا لله و إنا إليه راجعون .

كان الفقيد الصالح من أعز أبناء ندوة العلماء ، يعمل في مجال التعليم الإسلامي عن طريق مدرسة نور الإسلام التي كان قد أنشأها بإشراف عمه الجليل الدكتور قمر الدين في قرية انجن غاؤن بمديرية امراؤتي ، بولاية مهاراشتر ، و لقد بذل مجهودات عظيمة في ترقية هذه المدرسة التي كانت ملحقة بدار العلوم ندوة العلماء ، و قد سافر إلى الدول العربية عدة مرات للحصول على دعم لمشاريعها الإسلامية ، و كان دائم الاستشارة من سعادة العلامة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء ، و يعمل حسب توجيهاته في هذا المجال .

كان الله سبحانه قد أكرمه بالذكاء و النشاط مصحوبين بالإخلاص و

الاجتهاد الكامل و بالجدية و الاحتساب ، و تمثلت في حياته أخلاق حسنة ، فكان محبباً لدى الناس جميعاً .

هذه المفاجأة كانت صدمة عنيفة لأوساط ندوة العلماء و المدارس الإسلامية التي كانت ذات صلة بالمدارس الملحقة بندوة العلماء .

نبتهل إلى الله تعالى أن يكرم الراحل العزيز برفع مكانته و قبول مجهوداته ، و أن يمن على أسرته و أهله و ذويه بالصبر الجميل و البديل الحسن ، فإن الله على كل شيئ قدير .

تغمّده الله تعالى بواسع رحمته ، و غفر له زلاته ، و أدخله فسيح جناته ، و كتب له أحسن الجزاء ، فإنه نعم المولى و نعم النصير .

سعادة الشيخ العلامة محمد الرابع الحسني الندوي
رئيس ندوة العلماء يتوجه إلىٰ الربوع المقدسة

في غرة ذي الحجة الحرام ١٤٢٢هـ المصادف ١٤/ ٢/ ٢٠٠٢م توجه سعادة الشيخ الرئيس العام لندوة العلماء السيد محمد الرابع الحسني الندوي لأداء فريضة الحج مع جماعة من رفقته الذين انتهزوا الفرصة لأداء الفريضة مع سعادته ، منهم الحاج عبد الرزاق ، و الشيخ بلال الحسني الندوي ، و الشيخ محمود حسن الحسني الندوي ، و الشيخ محمد مسلم الحسني حفظهم الله تعالى جميعاً .

و سيقيم سعادته في مكة المكرمة إلى أن يؤدي مناسك الحج و يقضي وقتاً طيباً في رحاب الحرم المكي الشريف ، كما أنه سيزور المدينة المنورة و يقضي هناك بعض الوقت ، يلتقي خلال ذلك برجالات من العلم و الأدب و الدعوة ، و يتبادل معهم الآراء حول تنشيط برامج رابطة الأدب الإسلامي العالمية بمشيئة الله تعالى .

و يرجىٰ أن يعود سعادته في سلامة الله تعالى في بداية الأسبوع الثالث لشهر ذي الحجة الحرام . و الله ولي التوفيق و السداد .

الشيخ محمد بن جبير في ذمة الله

انتقل إلى رحمة الله تعالى ـ الأسبوع الماضي ـ الشيخ محمد بن إبراهيم بن جبير أول رئيس لمجلس الشورى السعودي في دورتيه الأولى و الثانية ، عن عمر يناهز السادسة و السبعين عاماً ، إثر مرض قلبي ألم به ، و نقل على إثره إلى المستشفى .

أديت الصلاة على الفقيد الراحل في جامع الإمام تركي بن عبد الله في وسط الرياض ، ثم ووري الثرى في مقبرة العود .. و قد نعاه الديوان الملكي السعودي .

و كان الراحل تقلد عدداً من المناصب قبل أن يعين في عام ١٤١٢هـ رئيساً لمجلس الشورى ، كما شارك في العديد من الندوات العلمية في الداخل و الخارج ، و له مؤلفات و بحوث عدة ، في المعاملات و الشريعة الإسلامية ، إضافة إلى أنه كان من قبل رئيساً لديوان المظالم ، و وزيراً للعدل .

رحم الله الفقيد و أسكنه فسيح جناته .

We are proud to be Indians
DECLARATION
AL-BASS-AL-ISLAMI (Monthly)
Place of Publication : Nadwatul Ulama, Tagore Marg, Lucknow-226007 (U.P.)
Printer/Publisher : Athar Husain,
Editor : Saeed-Al-Azami-Al-Nadwi
Nationality : Indian
R.N.I.No. UPARA/2000/2341, Phone : 788166-788442-787308
MARCH - 2002